

المسكوي

مع الدكتور الوردى
في كتابه وعاطف السلاطين

تجليد صالح الدقر
تلفون ٢٢٩٧٧

مشتكى

محمد نور محمد نورى

في كتابه وعاطا القضاة طين

القسم الاول

شهادة كذا يوم (الاظم) العاشر

كتبه محمد

2-7

301
A83m A
V.1: c.1
مرضى العسكرى

مع الدكتور (لورى) فى كتابه وعظ السلاطين

القسم الاول

منشور من مكتبة الامام الكاظم (ع) العامة

(٤)

مشرقة المعارف بمطبعة

١٩٥٥

تذکرہ

(۱۵۱۵) ۱۵۱۵

دیوانہ الخلفہ

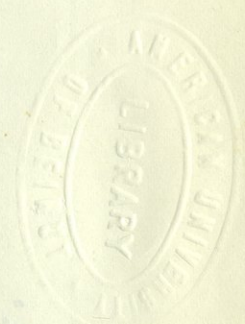
راہ الاستقامت

تذکرہ (۱۵۱۵) ۱۵۱۵

(۱۵۱۵)

تذکرہ

۵۵۶۲



فهرس الموضوعات

نمبر ٤ - ٦

أسلوب الدكتور الوردى ورأيه ومبدؤه ١٥

الأفلاق ٧ - ٢١

رأى المؤلف فى الأخلاق ٧ - موقف الاسلام من حياة البشر ١١ -
موقف النبى - موقف أو صياء النبى ١٢ - تأثير الحضارات الاجنبية فى
المسلمين ١٣ - رجوع الى موقف أو صياء النبى ١٤ - رأى الوعاظ
الماديين فى حياة الانسان ١٦ - الوعظ والصراع النفسى وازدواج
الشخصية ١٩ - الصراع النفسى والحجاب ٢١ -

الحجاب والانحراف الجنىسى ٢٥ - ٥٧

تأخر نشأة الانحراف الجنىسى عن الحجاب ٢٥ - بواث انتشار
الشذوذ الجنىسى بين المسلمين وبدايته ٣١ - الشذوذ الجنىسى فى عصر
العباسيين ٣١ - الديارات المسيحية تنشر التفسخ الخلقى بين المسلمين ٤٠ -
جرجى زبدان فى وصفه الديارات ٥٣ - هل السياسة أفسدت
الديارات ؟ ٥٤ - انتشار الشذوذ الجنىسى قبل الاسلام ٥٥ - الشذوذ
الجنىسى فى أوروبا ٥٧ -

شبهة الجبرى وموابها ٦٥ - ٦٦

الحسد والانانية وتعريفها وتحديددها ٦٨ - ٧١

السفسطة ٧٢

رأي السوفسطائيين في الحق وآثارها ٧٢ - المؤلف ينقل تاريخ السفسطة
محرراً ٧٤ - السفسطة وطلابها وأساتذتها ٧٦ - نموذج من محاضرات
السوفسطائيين ٧٩ - سقراط وموقفه من السفسطة ٨١ - تلاميذ سقراط :
الكليون وافلاطون وارسطو ٨٢ - الحق المطلق ما ينفع الناس ٨٤ -
الذئب مقياس للفضيلة ٨٧ - منطق أرسطو ٨٨ - أهم مصادر البحث ٩٥ -
تصويبات ٩٦ -

١١ - مقياس الذئب - ٧٢ - ٧٤ - ٧٦ - ٧٩ - ٨١ - ٨٤ - ٨٧ - ٨٨ - ٩٥ - ٩٦ -
١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦ - ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٦ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٥ - ٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ -

٧٥ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٥ - ٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ -

١١ - ١٢ - ١٣ - ١٤ - ١٥ - ١٦ - ١٧ - ١٨ - ١٩ - ٢٠ - ٢١ - ٢٢ - ٢٣ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٢ - ٣٣ - ٣٤ - ٣٥ - ٣٦ - ٣٧ - ٣٨ - ٣٩ - ٤٠ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٤٦ - ٤٧ - ٤٨ - ٤٩ - ٥٠ - ٥١ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٥ - ٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ -

٣٣ - ٥٢ - ٥٣ - ٥٤ - ٥٥ - ٥٦ - ٥٧ - ٥٨ - ٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٦ - ٦٧ - ٦٨ - ٦٩ - ٧٠ - ٧١ - ٧٢ - ٧٣ - ٧٤ - ٧٥ - ٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩ - ٨٠ - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ -

١٢ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤ - ٨٥ - ٨٦ - ٨٧ - ٨٨ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٢ - ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ - ٩٦ - ٩٧ - ٩٨ - ٩٩ - ١٠٠ -

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الانسان ، علمه البيان ، وأكرمه بالعقل ليميز به
الطيب من الطيب ، وأنعم عليه بارسال الأنبياء أدلاء له على الطريق ليسلك
سبيل الرشاد بحسن اختياره .

والصلاة على نبينا محمد المبعوث لاتمام مكارم الأخلاق ، وعلى اله
« هداة الخلق » السلام ، وعلى أصحابه البررة التحية والاكرام .

وبعد فقد نشرت نقدي على كتاب خوارق الاشعور ووعاظ السلاطين
للدكتور علي حسين الوردي تباعاً بأعداد من جريدة أخبار المساء . وكان
ذلك في شهر رمضان سنة ١٣٧٣ هـ ، فرغب الي اخواني في حينه أن اطبعه
في كراسة خاصة بدل نشرها في جريدة يصعب الاحتفاظ بأعدادها .
فوعدت أن أقوم بذلك حينما تسنح لي فرصة القيام به . وأخيراً قد طلب
مني بعض الاخوان أن أنجز وعدي فأعدت النظر فيها وقدمتها للطبع .
وقد توخيت في نشرها بيان رأيي حول شبه الدكتور الوردي عليها ترفع
بعض تلك الشبه بحول الله وقوته ، والله هو الموفق للصواب .

مرفضى العسكري

مقدمة

عندما صدر كتاب « خوارق اللاشعور » للدكتور علي حسين الوردي مدرس علم الاجتماع بكلية الآداب دعاني حب السلامة الى التريث والاحجام عن القيام بنقده راجياً أن يكون ذلك لغيري ، فأبقى على كئيب ، مشرفاً على المعركة ، وآمناً من أخطارها ، وذلك لعلني بأن بعض انصاف المثقفين بل المثقفين أيضاً يجدون في كل جديد لذة ، ولا يرغبون في سماع نقد الرأي الجديد وتمحيصه ، فيهاجمون بشدة أي شخص لا يقبل الرأي الجديد على علاته ، ويحاول نقده وتمحيصه .

وبعد صدور كتاب « وعاظ السلاطين » الذي لم يكن إلا أشعة من « خوارق اللاشعور » ! رأيت أن أنشر رأيي حول الكتابين ، واترك الحكم على ما أقرر من نقد الكتابين للقراء المحترمين . وهأنذا بدأت بذلك بحول الله وقوته .

* * * *

ليكن القارئ الكريم على علم ان النقاش لا يدور بيننا حول رأي المؤلف في تاريخ الاسلام ، أو في دين الاسلام ونبيه (ص) فحسب . وليس النقاش حول الحجاب والصفور الاعرضيا ، كما ان النقاش ليس حول سفه الفقير وبطر الثري - كما يحاول المؤلف ان يرى ذلك - وإنما النقاش حول رأيين متقابلين في الفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس . بل قد يكون في كثير

من الحقائق . وسترى ان الدكتور الوردى وأساتذته يحاولون هدم كل
قديم من أخلاق وآداب ونظم اجتماعية ، في حين انهم لا يستطيعون أن
يبنوا جديداً كما سترى ان المؤلف لم يأت يراي جديد وإنما قد جاء نابراي
من القديم بعد أن ترجمه من آراء من آمن به من المتأخرين . ونحن
مع احترامنا لآراء الدكتور وأساتذته اللاتي نرى من واجبنا أن نناقشها
باسلوب علمي بحت . نؤاخذ على اسلوب نقده ، وتحمله على مخالفه ،
- على اننا قد اضطررنا أحيانا على ان نسلك في مناقشة آرائه اسلوباً يقرب
من اسلوبه في الدعاية - ثم نؤاخذ على اعتماده في بيان رأيه على اثاره
المواطن ليصعب القيام بنقده على من يخالف رأيه فانه قد جعل من
نفسه في مقام بيان رأيه مدافعاً عن الفقير ومحامياً عن طبقات الشعب
السكادحة ضد غاصبيه .

اسلوب الدكتور الوردى ورأيه ومبرره

لكل كاتب اسلوب يمتاز به على غيره ، وميزان يعتبره ويقيس الامور
به ، ولأكثر الكتاب مبدأ يدعوون اليه . وان دكتورنا الوردى يمتاز
فيما كتب بقاعدة : خالف تعرف ، والهزء بمن يزن الفكر بمنطق أرسطو ،
وعدم الاعتراف بتأثير العقل في الانسان ، وانما ميزان اعمال الانسان عنده
هي العاطفة والهوى ، فالشهوة والأنانية والحسد هي التي تسيّر الانسان
وحدها ولا يغير الانسان شيء غير ظروفه الاقتصادية ، والحق عنده امر
اعتباري موهوم ، فالحق مع القاتل في محاولته القتل لأن غريزة
الغضب تدفعه الى فعله ، والمقتول له الحق في فراره عن القتل بحكم

غريزة حب الحياة كما ان الهر له الحق حينها يهاجم الفأر والفأر مع الحق
عندما ينهزم منه وليت شعري فيما لو اعتدى أحد عليه هل يبقى متمسكاً
برأيه ويرى المعتدي محقاً في الاعتداء عليه لان ظروفه الخاصة دفعته الى
الاعتداء ام يحجار بالشكوى عليه ؟!

واما مبدؤه الذي يدعو اليه فيصعب على القارىء تشخيصه ، أهو
الاسلام ؟ أم الديموقراطية ؟ أم الشيوعية ؟ أم ليست بهذه ولا تلك وانما
هو مضطرب الفكر يتأرجح بين هذه المبادئ ، وغيرها اللهم إلا ان يكون
مبدؤه الدعوة الى الثورة فقط !

وأما رأيه في الاسلام فانه يرى : ان الاسلام كان فى حينه ثورة موفقة
ناجحة ولا يمكن في اتباع القرآن والتقيده به في هذا اليوم جود كجمود
القائلين (انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آئارهم مقتدون) .

الدكتور الوردى فى كتابيه خوارق الاشهر وعاظ السلاطين

يظهر للقارىء الناقد ان مؤلف وعاظ السلاطين قد تأثر كثيراً بفصل
(السكينة) من كتاب (من هنا نبدأ) لخالدمحمد خالد المصرى ، فلاستاذ
خالد هناك يعبر عن رجال الدين بالكهنة وهو سابق على الوردى فيما كتبه
عن الوعاظ غير ان الاستاذ خالد - رغم انا نخالفه فى قسم من كتابه -
اكثر اتزاناً من دكتورنا الوردى ويسم كتابه بوحدة الموضوع
والدكتور كثير الخروج عن الموضوع وخاصة فى كتابه خوارق الاشهر

فانه أقرب ما يكون الى كتاب (الكلام بحر الكلام) لبعض العلماء المعاصرين . ثم ان الاستاذ خالد يدعو الى الاشتراكية بحجارة وإيمان ويسوق الأدلة تأييداً لما يراه فلك ان تناقشه وتأخذ برأيه أو تخالفه ، واما الوردي فانه ان أعوزه الدليل اعتمد على السخرية والنسكته في البرهنة على رأيه .

رأى أستاذ علم الاجتماع في المصروف

قال الدكتور الوردي في كتابه وعاط السلاطين : (لعلنا لا نخطئ اذا قلنا بأن الحسد والشهوة والانانية وما أشبه هي صفات أصيلة في الانسان لا مفر منها (١)) .

(فإذا قلنا للناس أنبذوا الحسد والانانية فمعنى ذلك اننا نقول لهم اتركوا طبيعتكم البشرية وكونوا ملائكة (٢)) .

فلو اعطى حين يعطى الناس باتباع المثل العليا وبتطهير نفوسهم من ادران الحسد والانانية انما يطلب المستحيل كما اسلفنا (٣) .

(فالسوقي يرى نفسه مضطراً الى الاندفاع وراء أنانيته لكي يعيش ، هذا بينا الواعظون يطاردونه في كل حين معارضين في وجهه ان الانانية ذنب قبيح (٤)) .

إذا مر على هذه السطور قارئ خالي الذهن من معنى الانانية اندفع

(١) وعاط السلاطين ص ٧

(٢) المصدر السابق ص ٨

(٣) المصدر السابق ص ١٥

(٤) الوردي في وعاط السلاطين ص ٨

لا شعورياً الى كره الواعظين الذين يسدون عليه سبيل العيش ويطلبون منه أن يكون ملكاً وان يترك صفة أصيلة في الانسان وقد يسأل القارئ نفسه عن الباعث للواعظين الى هذه الحملة عليه فينبري الدكتور للجواب على هذا السؤال المقدر ويقول :

(ولا يذم هذه الصفات البشرية إلا أولئك الذين أنعم الله عليهم فأشبع شهواتهم وأنانياتهم وجعلهم موضع حسد لغيرهم فهم يحرضون غيرهم على نبذ الحسد وكأنهم يقصدون لا شعوريا ان يدروا عن أنفسهم خطر المنافسين والمنازعين ^(١)) .

ويرى الدكتور ان قول الخطباء للناس : هذبوا اخلاقكم أيها الناس ونظفوا قلوبكم ^(٢) .

(أسخف رأي واخبثه من ناحيه الاصلاح الاجتماعي ^(٣)) .

هذا ما قاله الدكتور وقد قال الله سبحانه وتعالى :

(ان الله يأمركم بالعدل والاحسان وابتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ^(٤)) .

ان الله في ناحية الاصلاح الاجتماعي قد وعظ كما رأيت وامر بالوعظ في قوله : (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ^(٥)) .

ويمدح المؤمنين بقيامهم بالوعظ في قوله : (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ^(٦)) ويؤتون

(١) وعاظ السلاطين ص ٨

(٢ و ٣) المصدر السابق ص ٦

(٤) النحل - ٩ -

(٥) الاعراف ١٩٩

(٦) النساء آية ١٤٤

الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرهم ان الله عزيز حكيم (١) .
 ان اوامر الله ونواهيه في ناحية الاصلاح الاجتماعى كثيرة تربو على
 المئات ولم اقصد استقصاها الآن ولم اذكر ما اوردت لاستشهد بها على
 صحة القيام بالوعظ وانما اوردت ذلك لبيان عذر الوعاظ فانهم بوعظهم
 ينفذون حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي قد يكون أهم حكم
 من احكام الاسلام لانه يشكل السلطة التنفيذية لسائر الأحكام وبتعطيله
 يتعطل اجراء جميع الاحكام الاسلامية واني لا اختلف مع الدكتور في
 رأيه عن الوعاظ الذي يستخدم من قبل الطغاة — ان صح ذلك — وانما
 اختلافي معه في ان الارشاد بالكلام هل يؤثر في توجيه البشر أم لا .
 اما الدكتور فانه يقول :

(لو بقينا مئات السنين تفعل كما فعل اجدادنا من قبل نصرخ بالناس
 ونهيب بهم ان يغيروا من طبائعهم لما وصلنا الى نتيجة مجدية (٢)) .
 ويقول : لقد جرى مفكرونا اليوم على اسلوب اسلافهم القدماء
 لا فرق في ذلك بين من تثقف منهم ثقافة حديثة او قديمة كلهم تقريبا
 يحاولون ان يغيروا بالكلام طبيعة الانسان (٣) .

اما نحن فنقول ان الوعظ بالكلام — الدعاية المؤثرة — توجد
 الرغبة والرغبة تولد الارادة ولا شيء بعد الارادة إلا العزم ثم العمل ، غير
 ان الكلام إذا لم ينبعث من قلب مؤمن به معزراً بشواهد عملية من
 ايمان القائل به لا يجدي نفعا وكما قوي ايمان الوعاظ برأيه ازداد تأثيره
 في غيره وكما قل قل .

(١) التوبة

(٢ و ٣) وعاظ السلاطين ص ٧

وان رأي الدكتور في كتابه خوارق اللاشعور يخالف ما ذكره في
وعاظ السلاطين واكد عليه مراراً .

فانه يقول هناك : (فتهتلر لم يبعث في الامة الالمانية تلك الحماسة
وذلك التعصب العجيب لآرائه بواسطة الاقتناع المنطقي انما هو قد فعل
ذلك بالايحاء والتلقين والتكرار وبواسطة الاحتفالات والاجتماعات
والاستعراضات) .

(ان كلمة تكرار قولها على نفسك مرة بعد مرة لقادرة ان تطبع في
عقلك الباطن شيئاً من الايمان بها قليلاً أو كثيراً . والايمان يزلزل الجبال
كما يقولون) .

(ينتقد بعض الكتاب القرآن لأنه يكرر القصص وآيات الوعظ مرة
بعد مرة) .

(وما درى هؤلاء المغفلون بأن هذا التكرار الذي ينتقدونه هو الذي
طبع في نفوس العرب ذلك الايمان العميق بالله وجعلهم يحطمون ايوان
كسرى وعرش القيصر في سنوات معدودة ^(١)) ارايت كيف يناقض
الدكتور نفسه بنفسه صدق الله العظيم حيث يقول :

(ولو كان هذا الكتاب من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) .
لقد وجدنا القرآن يأمر بالوعظ خلافاً لما ارتآه الدكتور ، واما رأيه
في الاخلاق - الحسد والشهوة والانانية - فلو اردنا نقده ونحججه
وجب علينا البدء بذكر موقف الاسلام من الحياة في هذه الدنيا ليعرف
منه مذهبنا تبعاً للقرآن والاسلام فلا يلبس الأمر على احد عند مناقشتنا

(١) الوردى في خوارق اللاشعور ص ١٥٠

لرأي الدكتور في الصفات المذكورة ويظننا ممن يرى الصواب في
العزوف عن الدنيا ويتوهم اننا (إذا قلنا للناس أنبذوا الحسد والأفانية
فعنى ذلك اننا نقول لهم اتركوا طبيعتكم البشرية وكونوا ملائكة) كما
توهم الدكتور ذلك (١) .

موقف الاسلام منه حياة البشر في الدنيا

لقد جاء الاسلام يدعو الى السير في الطريق الوسط فإنه دعا العرب
الوثنيين الذين لم يكونوا ليعرفوا القيم الروحية الى اعتناق المبادئ الانسانية
في الدين الاسلامي كما نهى عن الرهبنة المسيحية والعزوف عن الدنيا فقد
قال الله سبحانه :

« وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا (٢) »
القصص آية ٧٧ .

وقال : « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا
ولا تسرفوا انه لا يحب المرففين ، قل من حرم زينة الله التي أخرجها
لعباده والطيبات من الرزق » الاعراف آية ٣٢ .

(١) راجع قبله (رأي استاذ علم الاجتماع في الاخلاق) .

(٢) الظاهر من ذكر ولا تنس نصيبك من الدنيا بعد وابتغ فيما أتاك الله الدار
الآخرة ومقابلها ان المراد لا تنس نصيبك من اللذات المباحة في الدنيا كما ذكر
ذلك بعض المفسرين .

موقف النبي

في البحار^(١) والكافي^(٢) ان امرأة عثمان بن مظعون جاءت الى النبي (ص) (فقلت : يا رسول الله ان عثمان يصوم النهار ويقوم الليل فخرج رسول الله (ص) مغضباً يحمل فعليه حتى جاء الى عثمان فوجده يصلي فانصرف^(٣) عثمان حين رأى رسول الله ، فقال له : يا عثمان لم يرسلني الله بالرهبانة ولا كنه بعثني بالحنفية السهلة السمحة أصوم وأصلي وأمسر أهلي فمن أحب فطرني فليستن بسني ومن سني النكاح .

(موقف أوصياء النبي)

دخل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) في البصرة على العلاء بن زياد يعوده فلما رأى سعة داره قال : (ما كنت تصنع بسعة هذه الدار في الدنيا أما أنت اليها في الآخرة كنت أحوج ؟) .
بهذه العبارة رغب في الاقتصاد على قدر الكفاية وانفاق الزايد عن الحاجة ثم بين بعد ذلك انه يمكن ان يجمع بين السعة والقيام بالواجب بقوله : (وبلى ان شئت بلغت بها الآخرة تقرى فيها الضيف وتصل فيها الرحم وتطلع منها الحقوق مطالعها^(٤) فاذن انت بلغت بها الآخرة)
فقال له العلاء : يا أمير المؤمنين أشكو اليك أخي عاصم بن زياد .

(١) في ج ٦ ص ٧٣٥ من البحار المجلسي (٥ ر)

(٢) في ص ٣٢٩ من الكافي للسكيني

(٣) انصرف أي انصرف عن الصلاة وتركها

(٤) تؤدي الحقوق

قال : وما له ؟

قال : لبس العباءة وتخلي عن الدنيا .

قال : علي به ،

فلما جاء قال : يا عدي ^(١) نفسه لقد استهام بك الخبيث ^(٢) أما رحمت
أهلك وولئك ، أترى الله أحل لك الطيبات وهو يكره أن تأخذها ؟ أنت
أهون على الله من ذلك !

قال : يا أمير المؤمنين هذا أنت في خشونة ملبسك وجشوبة
مأكلك ^(٣) .

قال : وبحك اني لست كأنت ان الله فرض على أئمة العدل أن يقدرُوا
أنفسهم بضعفة الناس كي لا يتبيخ بالفقير ^(٤) فقره ^(٥) .
هذا هو رأي الدين الاسلامي في الدنيا وملذاتها لا يرى تركها ولا
الانقباس فيها .

تأثير الحضارات الاجنبية في المسلمين

بعد انتشار الاسلام في أقطار الأرض واختلاط المسلمين بغيرهم تأثر
أمراء المسلمين بحضارة البلاد المفتوحة فالامويون في الشام تأثروا بأداب

(١) عدي نفسه تصغير عدو

(٢) غرك الشيطان

(٣) جشوبة المأكّل غلظته

(٤) لا يتبيخ بالفقير لا يهيج بالفقير

(٥) نهج البلاغة

الروم البيزنطيين^(١) وساد بعض التقاليد الفارسية في بلاط العباسيين^(٢) بالعراق وهكذا بقية الدول الإسلامية في غير العراق والشام ففي كل بلد من البلاد الإسلامية أفرط الحُكام في البذخ والترف وأسرفوا في التبذير وكان هذا البذخ والتبذير سبباً قوياً في إثارة جماعات من الزهاد في كل عصر لمقاومة الترفين والتبذير بهم ووعظهم ولم يكن الوعظ في عصر الإسلام الأول مهنة يحترفها جماعة دون أخرى وإنما كان أفراد المسلمين ينفذون حكم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في وعظهم وإرشادهم وبمرور الزمن وابتعاد الناس عن عصر الإسلام الأول وانتشار ثقافات الأمم المجاورة بين المسلمين دخل في الدين الإسلامي عنصر جديد وانتشرت الدعوة إلى ترك الدنيا باسم الزهد واتحل جماعة التصوف وامتنهوا الوعظ فقام قسم من الوعاظ يعظون الناس ويطلبون منهم أن يخالفوا الفرائض البشرية فلم يلتفتع بوعظهم أحد .

رموع الى موقف أوصياء النبي

قال محمد بن المنكدر : أردت أن أعظ محمد بن علي بن الحسين فوعظني ، خرجت الى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة فلقيني أبو جعفر محمد بن علي وكان رجلاً بادنًا ثقيلاً وهو متكئ على مولين فقلت في نفسي سبحان الله شيخ من أشياخ قریش في هذه الساعة على هذا الحال في طلب

(١) كان كاتب معاوية مرجوت الروي التنبيه والإشراف للمعدي ص ٢٦١
 وواله على خراج المسلمين في حمص ابن أمثال النصراني (يعقوبي ص ٤٩)
 (٢) اتخذ بعض الخلفاء العباسيين النيروز والمهرجان عيدين رميين .

الدنيا أما لأعظمه فدنوت فسامت عليه فرد علي بنهر وهو يتصايب عرفاً
 فقلت : أصلحك الله شيخ من اشياخ قریش في هذه الساعة على هذا الحال
 في طلب الدنيا أرايت لو جاء أجلك وانت على هذا الحال ما كنت تصنع ؟
 فقال : لو جاءني الموت وانا على هذا الحال جاءني وانا في طاعة من
 طاعة الله عز وجل اكف بها نفسي وعبالي عنك وعن الناس وإنما كنت
 اخاف ان لو جاءني الموت وانا على معصية من معاصي الله . فقلت : صدقت
 أردت ان أعظك فوعظتني (١) .

وقعت هذه المحاوره في اوائل القرن الثاني الهجري بين محمد المنكدر
 والامام الباقر (ع) وكان هذا الواعظ العابد يرى طلب الدنيا معصية
 لا ينبغي ان يشتغل بها الانسان بل ينبغي ان يترك الدنيا والعمل لها
 وينصرف الى العبادة وكان هو قد قسم ليله بين نفسه وامه وشقيقته اثلاثاً
 كل منهم يقوم باحياء ثلث من الليل بالعبادة فلما ماتت شقيقته قسم الليل
 بينه وبين امه نصفين يقوم هو باحياء نصف من الليل وتقوم امه باحياء
 النصف الآخر وكان هذا الواعظ صادقاً في شعوره ولم يكن مراعيّاً ولما
 أفهمه الامام ان طلب الدنيا لاعاشه المرء نفسه وعباله طاعة من طاعة الله
 صدق الامام واتعظ .

الى هذا العصر كان بعض افراد المسلمين يرغبون في الزهد والعبادة
 ويعطون غيرهم بحمارة وايمان وقبل ان يمضي النصف الأول من القرن الثاني
 الهجري شكل رهبان المسلمين جماعات لبسوا الصوف وقاموا يدعون الناس
 الى ترك الدنيا وترك العمل للدنيا ويطعنون في سلوك سائر المسلمين وكان
 هؤلاء مع الامام جعفر الصادق (ع) محاورات ومناظرات .

(١) البحار ج ١ ص ١٠٠

(مر سفیان الثوري في المسجد الحرام فرأى جعفر الصادق (ع) وعليه ثياب حسان فقال والله لا آتئنه ولا وبخنه فدنا منه فقال : يا ابن رسول الله ما لبس رسول الله مثل هذا اللباس ولا علي ولا احد من آبائك فقال له ابو عبد الله كان رسول الله في زمن مقتدر^(١) وكان يأخذ لفته واقتاره وان الدنيا بعد ذلك ارخت عز اليها^(٢) فاحق اهلها بها ابرارها ثم تلا : قل من حرم زينة الله التي اخرجها لعباده^(٣) .

ويحدث الامام نفسه ويقول : (بينا انا في الطواف فاذا رجل يجذب ثوبي واذا عباد بن كثير البصري

فقال : يا جعفر تلبس مثل هذه الثياب وانت في هذا الموضع مع المكان الذي انت فيه من علي ، فقلت : ثوب فرقي اشتريته بدينار وكان علي في زمان يستقيم له ما لبس فيه ولو لبست مثل هذا اللباس في زماننا لقال الناس هذا مرأى مثل عباد^(٤))

انتشر هذا المبدأ في ذلك العصر واخذ هؤلاء يهاجمون غيرهم بشدة فيكثر على الامام ان يلبس ثوباً يساوي ديناراً .

واذا كان هؤلاء قد تركوا العمل للدنيا فمن اين كانوا يعيشون وهل كانوا كلا على غيرهم !

الوعاظ الماربون

لقد ذكرنا في حديثنا عن الوعاظ في العصور الماضية ان جماعة منهم

(١) مقتدر ضيق في النفقة

(٢) ارخت السماء عز اليها وقع المطر بشدة كناية عن الرخاء

(٣) البجارج ١١ ص ٢١٣

(٤) البجارج ١١ ص ٢١٢ و ٢١٣

كانوا يطالبون الناس بالعزوف عن الدنيا وتركها ، وتناسوا الفرائز البشرية ومقتضياتها ، واهتموا بتقوية القوى الروحية في الانسان فحسب .

وإذا أمعنا النظر في عصرنا الحاضر وجدنا ان جماعة من الوعاظ الماديين — الشيوعيين — لا يؤمنون بوجود شيء ما عدا المادة وما يندشأ منها ، ويكفرون بالقوى الروحية وآثارها ، ويدرسون جميع الظواهر في الكون على ضوء نظريتهم المادية فحسب .

فإذا درسوا التاريخ نسبوا كل تطور في المجتمع البشري الى عوامل اقتصادية بحتة ، وإذا حللوا غرائز الانسان لم ينتبهوا الى غير غرائز الشهوة والحسد والأنانية فيه ، فهؤلاء في كيفية دراستهم يشابهون باحثاً جرثومياً (بكتريولوجيست) فحص في مختبره عن جرثومة خاصة في دم الانسان ، فقتبها وسجل أدوارها بكل دقة وامعان ، ثم حاول أن يوفق بين جميع العوارض الموجودة في بدن المريض وتلك الجرثومة ولم ينتبه الى وجود سائر الجراثيم في الدم والآثار المنبعثة عنها فهو يصيب في كشفه حيناً ويخطئ أحياناً .

هكذا يعالج قسم من الكتاب أخلاق البشر ، وكذلك يعملون تطور المجتمع البشري ، فهم ينظرون الى العالم من زاوية واحدة فقط .

وأما نحن فلا ننكر تأثير العوامل الاقتصادية في حياة البشر غير اننا لا ننسى المؤثرات الأخرى فيه أيضاً ، كما اننا في دراستنا لغرائز البشر نؤمن بوجود الشهوة والحسد والأنانية ومقتضياتها فيه ، ولا نكف عن مراقبتها ونرى الى جنبها غرائز أخرى تقابلها .

الغيرة أو الرحمة والرفقة وحب الخير في البشر

من انثبه الى نفسه أو الى ما يقوم به غيره ، لابد وانه يرى أو رأى من نفسه انه يرأف على طفل صغير يسقط ، أو يرحم شيخاً كبيراً يهوي ، وأنه قد خاطر يوماً ما ، أو يرى من نفسه أنه يخاطر لانقاذ غريق ، أو اطفاء حريق ، أو اغائة ملهوف ، أو اسعاف منكوب ، أو رأى وسمع من قام بتلك . فما هو الباعث للانسان الى القيام بهذه الافعال ؟ .

وماذا ترى دفع أصحاب الحسين (ع) الى التفاني في سبيل الحسين ؟! الانانية أم الشهوة ؟ أم عقد نفسية قد تكونت على اثر كبت الغرائز الجنسية ؟ أم ان بواعث اقتصادية دفعتهم الى ارتشاف كأس الشهادة ؟ أم ماذا ؟ اذا فكر احدنا في كل ذلك عرف ان الانسان في حياته يعتمد على دعمتين ، ويسير على قدمين : الغرائز الحيوانية السابقة الذكر الشهوة والحسد والانانية ، وما يقابلها من الغرائز الانسانية أي الرفقة والرحمة ، وحب الخير للغير ، والابثار على النفس حتى يرتفع الى درجة التضحية بالنفس والنفيس في سبيل الصالح العام ، في سبيل العدل ، في سبيل المبدأ الذي يدين به .

ويختلف البشر أشد الاختلاف في الانصاف بكل واحدة من هذه الصفات بعامل الوراثية والبيئة والظروف الاقتصادية والتربوية غير ان للبشر قدرة خارقة على تكييف نفسه بتقوية بعض هذه الخصال وتضعيف البعض الآخر ، وبين هاتين المجموعتين من القوى المتقابلة : الانانية

والغيرية ^(١) صراع دائم في النفس ، فترى الغيرية في البعض تغلب أحياناً وتسوق صاحبها الى الخيرات والفضائل ، وآونة تتغلب الانانية فتدفع صاحبها الى الشرور والرذائل ، وقد يبقى الانسان حائراً متردداً في تقديم احدهما على الأخرى .

ولو أمعن الدكتور الوردى وغيره من تلاميذ المدرسة المادية الديالكتيكية في دراسة الفرائز الانسانية جميعها ، فدرسوا الغيرية في البشر الى جنب دراستهم للفرائز الانانية المقابلة لها لما وقعوا في الغلط ، ولما قال دكتورنا الوردى : ان الصراع النفسي منشؤه الوعظ ^(٢) ، وان ازدواج الشخصية منشؤه نشر التعليمات الدينية ^(٣) . ولعرف الدكتور ان الصراع النفسي أصيل في الانسان وأن منشأه اتصاف جميع البشر — بدرجات متفاوتة — بالفريزتين الفطريتين : الانانية والغيرية ، سواء أدخل الناس المساجد والكنائس وسمعوا الوعظ والارشاد أو لم يدخلوا ولم يسمعوا .

الوعظ والصراع النفسى والوعظ والازدواج الشخصية

بمحاول الدكتور في فصل الوعظ والصراع النفسى من كتابه وعاظ السلاطين أن يربط بين وعظ الواعظين والصراع النفسى ، كما يحاول

(١) ان الانانية المتطرفة هي منشأ الرذائل الخلقية من بخل وجبن وحسد الى غيرها من الصفات الذميمة . والغيرية منشأ الفضائل الخلقية كالكرم والشجاعة وحب الخير للغير .

(٢) راجع الوعظ والصراع النفسى من وعاظ السلاطين ص ٢٠ - ٢٦ ولعلك تجد المؤلف يتناقض نفسه بنفسه في هذا الفصل .

(٣) راجع ص ٥٤ الى ٥٦ من وعاظ السلاطين .

في الفصل الثاني تحليل ازدواج الشخصية في الانسان بوعظ الواعظين
ونشرهم التعاليم الدينية فيقول في ص ٢٠ منه :
(الانسان حين يسمع الواعظ يعظه بترك هذه الدنيا الخلابة يمسي حائراً
فضميره يأمره بالطاعة الواعظ من ناحية ونفسه تجذبه من الناحية الثانية
نحو الدنيا فهو اذن واقف بين حجري الرحي لا يستطيع أن يترك الدنيا
ولا يستطيع أن يترك الجنة التي وعد بها المتقون .
يحكى ان عمر بن سعد بن أبي وقاص وقع ذات يوم في مثل هذا المأزق
الخرج) .

(ويروي انه كان يتقلب على فراشه وينشد البيت التالي :

أترك ملك الري والري منيتي

أم أرجع مأثوماً بقتل حسين)

لو كان الدكتور قد ألزم في كتابه هذا باتباع قواعد (المنطق الحديث
ومنهج البحث في علم الاجتماع) ولم يتسرع بالحكم قبل (الاستقراء)
استناداً (الى ملاحظته الفجة) لتنبه الى ملازمة الصراع النفسي للانسان
أينما كان ، إذ ان لكل انسان شهوات ورغبات يسعى للوصول اليها ، بينما
كل مجتمع يعيش فيه الانسان لا بد له من نظام يقيد الفرد ويعنعه من متابعة
أهوائه ، سواء أكان النظام دينياً أم مدنياً . فإذا كان الانسان ضعيف
الايان بنظام مجتمعه حاول التخلص من ذلك النظام أبداً ودائماً .

بينما يخشى من مجتمعه أن يعتبره مجرماً ، وعندذاك يقع هذا الانسان
(بن حجري الرحي) : قوانين مجتمعه وشهواته وأهوائه سواء أكان
هذا الانسان في العراق أم في أفصيا روسيا أو امريكا .
إذن فالصراع النفسي نتيجة حتمية لضعف الايمان بالنظام - هذا اذا

لم يكن الصراع النفسي اصيلاً في طبيعة الانسان مع اختلاف في الدرجات - كما سبق أن ذكرنا ذلك آنفاً (١) .

وان حيرة عمر بن سعد وتردده في قتال الحسين أيضاً كان ناشئاً من ضعف ايمانه بدين الحسين وجده . ومن روى عن عمر بن سعد انشاده البيت الذي استشهد به الدكتور ، يروي له بعد ذلك هذه الأبيات :

وفي قتله النار التي ليس دونها
حجاب ولي في الري قرة عين
يقولون ان الله خالق جنة
ونار وتعذيب وغلّ يدين الخ

وليس الامر في ذلك منحصرأ بمعتنقي الاديان والمعتقدين بالجنة والنار (٢) فحسب . وانما هو عام بالنسبة الى كل انسان مع مبدئه ونظام مجتمعه ايا ما كان مبدؤه ونظام مجتمعه والشواهد على ذلك كثيرة ومشهودة لكل واحد .

وذكر في ص ٢٣ : (ان المجتمعات الحديثة بدأت تقضي على بعض أسباب هذا الصراع النفسي حين اطلقت الحرية للمرأة ورفعت من مستواها الثقافي والاقتصادي وسمحت لها بالاختلاط مع الرجل وبمغازلته ومراقصته وملاعبته)

ويقول في الهامش : ان المجتمعات الحديثة وإن كانت قد ابتليت بأدواء أخرى ولكنه (مهما كان فهو خير من داء الصراع النفسي) .

(١) راجع ما قبله ص ١٨

(٢) راجع ص ٢٠ من وعظ السلاطين لتري كيف يحاول الدكتور أن يجعل ذلك ناشئاً عن العقيدة الدينية كالعقيدة بالجنة والنار مثلاً .

إذا كان كل داء خيراً من داء الصراع النفسي إذن فمن الخير للانسان
— على رأي الدكتور طبياً — ان يتحرر من كل قيد اجتماعي ونظام
انساني مهما كان نوعه ليسلم من داء الصراع النفسي نهائياً .
إذن الى الأمام .. الى الأمام .. الى الاباحية المطلقة .. الى الفوضوية ..
الى حياة الغابات والكهوف !! .

وفي صدد الحجاب وتعداد مضاره ذكر في ص ١٠ - ١١ : (ان
الجامعات الغربية تعنى بالشهوة كل العناية فلا تستحي ولا تعظ فهي تخصص
لطالباتها وطلابها أماكن للاختلاط والرقص وتساعدن على التعرف بعضهم
ببعض ونهيء لهن أجواق الموسيقى وتشملهن جميعاً بحج من المرح واللذة
الريئة) . ويذكر ان استاذة قال له : (اننا إذا منعنا طلابنا وطالباتنا من
الاختلاط المكشوف لجأوا الى الاختلاط المستور بعيداً في جو ملؤه الريبة
والاغراء اننا اذا نعمت بما في الطبيعة البشرية من قوى ونهيء لها ما ينفس
عنها في جو من البراءة والطمأنينة نكون بذلك قد وقينا الانسان من
مزالق الشطط ومغريات الخفاء) .

ان لطبيعة النفوس البشرية تقوى الى الاتصال الجنسي وتحتاجه كما تقوى
الى الطعام والشراب وتحتاجهما وكما ان النظر الى اصناف الطعام وشم رائحتها
ولمسها لا تشبع الجائع كذلك اختلاط الفتيات بالفتيان والرقص والموسيقى
والمغازلة لا تشبع النهم الجنسي في الشباب بل ان كل هذه تزيد تعطشا
الى الاتصال الجنسي فاذا سمحنا له بكل شيء جهاراً ما عدا للاتصال
الجنسي فانه عند ذاك يطفئ نار شهوته الملتبته خفية وسراً .

وفي آلاف القصص المتواترة عن الحوادث الجنسية المثيرة في بلاد

الغرب آلاف الأدلة والبراهين على ذلك ، ولا ينتهي المترفون المنجرفون وراء الشهوة الجنسية الى حد لينظر في ذلك الحد أهو صحيح أم باطل ، حتى يخلوا بنظام الأسر ، ويضيعوا الانساب . الى مالا يستطيع له عدا وحصر من المضار .

ذكرت مجلة (خواند نيا) ^(١) الايرانية تحت عنوان (لعبة تبديل الأزواج) نقلا عن مجلة (بيجنت) الامريكية : انها نقلت اهتمام الجرائد الامريكية ومجلاتها بذكر (لعبة المفاتيح) أو (لعبة تبديل الأزواج) المنتشرة في مملكة (كوبا) من أقصاها الى اقصاها . ثم ذكرت كيف يجتمع ستة من الأزواج مع زوجاتهم — أو أكثر من ذلك أو أقل — في دار أحدهم ، وبعد شربهم المسكرات تاتي كل امرأة مفتاح دارها وسط الغرفة فن التقطه من الرجال الحاضرين ذهبت معه الى دارها ، وبات تلك الليلة معها حتى إذا أصبح التبادلون رجع كل زوج الى داره ، وقد يطول هذا التبديل أكثر من ليلة . وقد لوحظ ان هذه العادة في العائلات متوسطة الغناء أكثر انتشاراً) .

في مثل هذا المكان يقل الصراع النفسي حيث ينساق البشر وراء هواه بلا قيد ولا شرط فقد أراح هؤلاء الشيطان وكفوه شر الاغواء .

وان مثل هذا الفعل الشائن — في عرفنا — قد يقع في مملكة نساؤها سفارات فهل يعترف استـاذ علم الاجتماع بأن ذلك من مساويء السفور ؟ لست أدري !! ولعله لا يرى فيه سوءاً ولا قبحاً لان عرفهم الاجتماعي

(١) نقلناه ملخصاً عن ص ٢٩ من العدد ٦ ٥ من السنة ١٥

وأطارهم الفكري لم يجد فيه قبحاً ولا سوءاً^(١) ، وقال في ص ٢٠ منه :
(دأب وعاطنا على تحييد الحجاب وحجر المرأة فذناً من ذلك عادة الانحراف
الجنسي في الرجل والمرأة معاً .

ظن وعاطنا أنهم يستطيعون أن يمنعوا الانحراف الجنسي بواسطة الكلام
والنصيحة وحدها غير دارين بأن الانحراف طبيعة اجتماعية لا بد من
ظهورها في كل بلد محتجب فيه النساء عن الرجال) .

وقال : (قد دلت القرائن على أن المجتمع الذي يشتد فيه حجاب المرأة
يكثر فيه في نفس الوقت الانحراف الجنسي من لواط وسحاق وما أشبه) .
وقال عنهما (انهما أمران متلازمان فلا يوجد أحدهما إلا حيث يوجد
الآخر) .

فكرر القول بأن استاذ علم الاجتماع لم يلتزم في بحثه عن الاسلام وتاريخه
بمنهج البحث في علم الاجتماع ولم يسر (في ضوء المنطق الحديث) خلافاً لما
ادعاه وجعله عنواناً لكتابه حيث قال : (رأي صريح في تاريخ الفكر
الاسلامي في ضوء المنطق الحديث^(٢)) .

إن الأستاذ لما رأى ظاهرة الحجاب والانحراف الجنسي في مجتمع
يعيش فيه ورأى جزءاً صغيراً من المجتمع الأمريكي - جامعة تكساس
وبعض البلاد الأمريكية التي شاهدها - خالية من الظاهرتين معاً كما يزعم !!
وسمع عن فرنسا مثل ذلك جعل ذلك سنداً لأحكامه القطعية الثلاث الآتية :
أولاً : نشأ الانحراف الجنسي في مجتمعاتنا على اثر تحييد الحجاب من
قبل الوعاظ .

(١) راجع الفصل الاول من خوارق اللاشعور ص ٧ ؛ (الاطار الفكري) .

(٢) راجع ص ١ من غلاف كتابه وعاط السلاطين

ثانياً : ظن الوعاظ انهم يستطيعون ان يمنعوا الانحراف الجنسي بواسطة الكلام والنصيحة وحدها .

ثالثاً : ان الانحراف الجنسي طبيعة اجتماعية لا بد من ظهورها في كل بلد محتجب فيه النساء عن الرجال ، ويكثر في نفس الوقت الذي يشتد فيه الحجاب الانحراف الجنسي ، وانها أمران متلازمان لا يوجد أحدهما إلا حيث يوجد الآخر .

نشأة الانحراف الجنسي

إذا بحثنا عن نشأة الانحراف الجنسي في مجتمعنا فقط مع غض النظر عن سائر المجتمعات الأخرى وجدنا ان الانحراف الجنسي متأخر في مجتمعنا عن انتشار الحجاب واشتداده اكثر من قرن ونصف قرن إذ ان الحجاب قد نشأ وانتشر في السنة الخامسة بعد الهجرة (١) حيث نزلت آيات الحجاب ودعا اليه الله ورسوله وفقده الرسول والسابقون من المؤمنين في نسائهم .

فقد قال الله سبحانه في سورة النور مخاطباً لنبيه : (قل للمؤمنين يفضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك اذكى لهم ان الله خير بما يصنعون (آية ٣١)) وقل للمؤمنات يفضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدن زينتهن إلا لبعولتهن أو اخوانهن أو بني اخواتهن أو نساءهن أو ما ملكت ايمانهن أو التابعين غير أولى الاربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا الى الله جميعاً ايها المؤمنون لعلكم تفلحون (آية ٣٢) .

(١) كما صرح بذلك جمع من المفسرين

(عن علي بن ابي طالب ، قال : مر رجل على عهد رسول الله (ص) في طريق من طرقات المدينة فنظر الى امرأة ونظرت اليه فوسوس لهما الشيطان ، انه لم ينظر أحدهما الى الآخر إلا إعجاباً به ، فبينما الرجل يشي الى جنب حائط ينظر اليها إذ استقبله الحائط فشق أنفه فقال : والله لا أغسل الدم حتى آتي رسول الله (ص) فأعلمه أمري ، فأناه فقص عليه قصته ، فقال النبي : هذا عقوبة ذنبك وأنزل الله : (قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ^(١)) وهذا أمر الجنسين في هاتين الآيتين بغض بصرهما عن النظر الى الجنس الآخر كي لا يرى مالا تخفيه الثياب من محاسن الجسد كاعتدال القوام ، وفراة الجسم ، ولتجنب بذلك رؤية زينة الثياب الظاهرة لعين الرأي ، ثم أمر بحفظ الفرج عن الزنا ^(٢) بعد ذلك ، وإن لا تبدى النساء زينتهن كالسوار والقلادة إلا ما ظهر من الزينة كالثياب والجلابيب ^(٣) ، وإن يدينن بخمرهن ^(٤) على جيوب قيصهن خلافا لما كانت عليه النساء في العصر الجاهلي - قبل الاسلام - إذ كن يلقين مقالمهن على ظهورهن فتبدو صدورهن . ونهاهن عن ابداء زينتهن لغير ذوي محارمهن من الرجال ، ولغير نساءهن المسلمات ولغير جواريهن من النساء ، ولغير الرجال التابعين ممن لا حاجة لهم في النساء لكبر سنهم أو نقص في طبيعتهم أو المغفلين من الرجال . ولغير الاطفال الذين لم يميزوا عورة النساء من الرجال كما

(١) رواه السيوطي في ج ٥ من الدر المنثور ص ٤٠ عن ابن مردويه

(٢) ذكر المفسرون أن حفظ الفرج في القرآن كناية عن التحفظ عن الزنا .

(٣) روى ذلك السيوطي في تفسيره عن ابن مسعود بعشرة أسانيد كما رواه

الطبرسي وغيره أيضا .

(٤) الحمار مقنعة المرأة وهي غطاء تستر بها المرأة رأسها وينسدل ذيلها على

جنيها .

نهان عن ان يضربن بأرجلهن لئلا يسمع صوت زينتهن من الخلاخيل وغيرها مما يخفين من الزينة .

وبعد أن ذكر الله في الآيات المتقدمة من أيسح له الدخول على النساء من التابعين والاطفال بين بعد ذلك ان على هؤلاء ايضاً ان يستأذنوا في الدخول عليكم في ثلاثة اوقات حيث قال :

(يا ايها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشاء ثلاث عورات لكم ليس عليكم ولا عليهن جناح بعدهن طوافون عليكم بعضكم على بعض كذلك يبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم .

واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قباهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم .

والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة وان يستعففن خير لهن ^(١) .
في السنة الخامسة من الهجرة نزلت آيات الحجاب والتي منها الآية الكريمة :

واذا سألتموهن متاعاً فسألوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن ^(٢) .

روت أم سلمه — وذلك بعد نزول آيات الحجاب — وقالت : (كنت

(١) الآية ٥٩ و ٦٠ و ٦١ من سورة النور .

(٢) الآية ٥٤ من سورة الأحزاب .

عند النبي وميمونه . بينا نحن عنده أقبل ابن أبي ام مكتوم فدخل عليه فقال رسول الله (ص) : احتجبا عنه . فقالت : يا رسول الله اليس هو أعمى لا يبصرنا ؟ فقال : أعميا وإن انتما ؟ السمتا تبصرانه ؟ (١)

وخاطب الله نبيه أيضاً وقال : (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين بدنين عليهن من جلابيبهن) (٢) ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً (٣) .

عن أم سلمة وعن عائشة قالتا : (لما نزلت هذه الآية خرج نساء الانصار كأن علي رؤسهن الغربان من اكسية سود يلبسنها) (٤) .

وروى محمد بن سيرين قال : (سألت عبيدة السلياني (رض) عن قول الله يدنين عليهن من جلابيبهن ، فتقنع بملحفة فغطى رأسه ووجهه وأخرج إحدى عينيه (٥) .

لقد تلونا القرآن فوجدناه يفرض الحجاب على النساء ويأمر الجنسين بغض البصر ، ويأمر النساء باخفاء الزينة ويتشدد في الحجاب حتى يقول : (ولا يخفضن في القول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً وقرن في يوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى) (٦) .

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور ص ٤٢ من ج ٥ عن أربعة طرق ، والزحشري في ج ٢ من تفسيره ص ٩٠ وقال : كان ذلك بعد نزول آية الحجاب (٢) الجلاب : الملاة التي تلبسها المرأة فوق ثيابها (كالعباءة)

(٣) آية ٥٩ من سورة الاحزاب .

(٤) أخرجه السيوطي في تفسيره ص ٢٢١ و ٢٢٢ من ج ٥ عن طرق عديدة .

(٥) في تفسير السيوطي ص ٢٢١ و ٢٢٢ من ج ٥

(٦) الآية ٣٢ و ٣٣ من سورة الاحزاب

وبتشدد النبي حتى يقول : (إما امرأة استعطرت فخرجت ففرت على قوم فيجدوا ريحها فهي زانية ^(١)) .

وقد اسقط الاسلام عنهن الجهاد ، والجمعة ، والجماعة وتشيع الجنائز ، والهرولة بين الصفا والمروة ، والعجر بالتلبية ^(٢) ، ومنعن عن الاختلاط بالرجال ، كل هذا التشديد في الحجاب من الله ورسوله ، ومنذ عصر الرسالة ، ولكن استاذ علم الاجتماع ينسبها الى الوعاظ !! فهل ان ذلك لجهله بمنشأ الحجاب أم انه اراد ان يسب رسول الله حين قال : ما مر عليك وحين يقول :

(نشر الوعاظ مبدأ الحجاب في المجتمع الاسلامي وأيدوه بالأدلة العقلية والنقلية ولعلمهم أرادوا بذلك — لا شعوريا — ان يندروا الفقراء بالويل والثبور ويمنعهم من التطلع الى مافي داخل القصور الشاخنة من بيض حسان فالواعظ حين يقول : « لا تنظر الى المرأة » ربما أراد بذلك أن يقول لا تنظر الى جوارى غيرك ^(٣)) .

كان صدور تشريع الحجاب في السنة الخامسة بعد الهجرة كما مر عليك ذلك . فهل الدكتور يقصد بالواعظين - حين يقذفهم - رسول الله واله وصحابه الذين نفذوا امر الحجاب في بدء بدئه أم ماذا ؟ لست ادري !! وكان قصدي من ذكر الآيات الواردة في الحجاب والاحاديث المينة لها بيان تاريخ الحجاب ومنشأه ، ولم أكن بصدد بيان وجوب الحجاب في الدين الاسلامي ولا في صدد بيان محسناته لاني واثق كل الوثوق بأن سبب انتشار

(١) في ج ٥ من الدر المنثور للسيوطي ص ٤١

(٢) يروها المحدث القمي عن رسول الله في ص ٥٨٧ من ج ٢ من سفينة البحار

(٣) ص ١٢ من وعاظ السلاطين .

التبرج والسفور بين نساء المسلمين ليس جہلہم بجرمة التبرج والتعري تجاه
الاجنبي ، وانما الباعث لهم على ذلك هي الشهوة والهووى فحسب ، وان احتجوا
بالتحذير الغربي وما عداها . وهل من ينكر حرمة شرب الخمر ولعب القمار
وأخذ الربا الى عشرات من غيرها من المحرمات في الدين الاسلامي . اليس كل
ذلك محلة في القوانين المرعية في البلاد الاسلامية ؟ !!

(اشتد الحجاب) في السنة الخامسة بعد الهجرة ويذكر التاريخ ان
(الانحراف في الاتصال الجنسي) انتشر بين المسلمين في النصف الثاني من
القرن الثاني بعد الهجرة (ولم ينتشر في نفس الوقت) كما ذكره الدكتور .
وقد شاع الانحراف الجنسي بين المسلمين بعد ان غمرت بيوت الأمراء
والشعراء والأثرياء موجة من الغلمان الامارد مع ظهور الغلو في حبرنساء
الأشراف عن الزواج من امثال العباسية أخت الرشيد^(١) وأقرانها ،
وبعد أن ضعف الوازع الديني في نفوس المسلمين ، وانتشرت دور الخمر ،
وشاعت الزندقة ، وراود الشعراء وأهل الترف الامارد من الغلمان في الديار
المنتشرة في طول البلاد الاسلامية بقصد الاستمتاع واللذة ، وعقدوا
مجالس الانس والنزهة في دور حرم سكانها الاتصال الجنسي في العلن ،
وأباحوا شرب الخمر جہرا ، واما ماذا عملوا سرّاً فذاك أمر يعلمه الله
والمرتادون تلك الديار بقصد الاستمتاع واللذة . عند ذاك انتشر التشبيب
بالغلمان انتشاراً هائلاً ، وبقيت آثارها حتى اليوم تفسد بعض المجتمعات
الاسلامية وستبقى ما زال الشباب يسمع قصصهم المغرية بالفساد ، ومجونهم
وتغزلهم الخليع مع ضعف الوازع الديني فيهم . اصف اليها انتشار المشاكل

(١) راجع مروج الذهب للمسعودي (٢ : ٢٨٦)

الممانعة عن الزواج في هذا العصر باطراد .

برائة انتشار السُرور الجنسي بين المسلمين

ان الانسان بطبيعته يطمح الى الرفعة والتعالي على غيره من البشر فان لم يؤت حظا من ذلك ، يحاول — لا شعورياً — ستر تأخره ، والتهرب من انحطاطه بمحاكاة القوي الغالب ، وتقليده في سلوكه ، وطرق معيشته ، وقد كان القدماء يعبرون عن ذلك بقولهم : الناس على دين ملوكهم (١) .

ولما كانت الطبقة الحاكمة من الامراء ومن اتصل بهم من الندماء ، والشعراء ، وغيرهم من ذوي النفوذ والجاه قد راج بينهم الشذوذ الجنسي ، وانتشر انتشاراً فظيماً في أخريات القرن الثاني الهجري أدى ذلك الى سريان هذا الداء الويل الى سائر طبقات الشعب يومذاك .
وقد نستطيع ان نعد ما ذكرناه السبب الأول في انتشار هذه الرذيلة بين المسلمين منذ ذلك العصر .

برائة انتشار السُرور الجنسي في نهاية القرنه الثاني الهجري

ان الباحثة المتتبع في عصور الاسلام الاول قد لا يجد شيئاً من هذا الانتشار المشين للشذوذ الجنسي قبل عصر الرشيد ولا يجد التشبيب بالغلمان والتغزل بالجنس الذكوري في الادب العربي قبله :
فألمؤيون وإن كانوا قد شجعوا الشعراء الغزلين بالتشبيب بفناء

(١) وهذا هو الدافع لأمثال الدكتور الوردى من ذوي الشخصيات الضعيفة الى تقليد الغربيين الاتقواء وعما كانهم في كل شيء .

البيوتات الكريمة في مكة والمدينة ، وروجوا السكر والغناء بين أهليهما
لأهائهم عن معارضتهم ، وصرفهم عن تأييد الناقين على بني أمية من أمثال
السبط الشهيد ، وابن الزير ، وابن غسيل الملائكة في واقعة الحرة ،
والتائبين من أهالي الكوفة ثم المختار .

إن كان الامويون قد روجوا كل ذلك لغرض سياسي فإن العباسيين
قد جرفهم الترف في الشهوة الجنسية الى الفحص عن متعة جديدة صعبة
المنال (اللواط بالغلمان) ثم أصبح ذلك (موضوعة) العصر العباسي وعلى
اثر ذلك انفتح باب التغزل بالغلمان في الادب العربي فولج به شعراء المجون
بكل تهتك واستهتار .

وكان الرشيد نفسه أول خليفة عباسي بل أو خليفة من المسلمين يروي
منه التغزل بالغلمان وقد روى له الشابشتي في كتابه الديارات ص ١٤٥
و ١٤٦ هذه الايات :

ملكنت من أصبح لي مالكا لكنه في ملكه ظالم
أحببته من بين هذا الوري وهو بحبي خير عالم
قبيح فعل حسن وجهه يـمـنـذـر في أمثاله اللأم
أحسن من أبصره مبصر لو أنه في حسنه راحم

محمد الأمين

وكان محمد الأمين ابن الرشيد أول خليفة اشتهر بالشغف بالغلمان فقد
كان يهوى غلامه كوثر ، قال الخطيب في تاريخه (١) .

(١) في ج ٤ ص ٣٣٩ من تاريخ بغداد

(خرج كوتر غلام الأمين ليرى الحرب فأصابته رجمة فجلس يبكي
فوجه محمد من جاء به وجعل يمسح الدم عن وجهه ثم قال :

ضربوا قرّة عيني ومن أجلى ضربوه
أخذ الله بقلبي من أناس (أحرقوه)
ولم يستطع أن يتم البيتين فاتمها عبدالله بن أيوب التميمي بقوله :
مالن أهوى شبيهه فبه الدنيا تنبيهه
وصاله حلو ولكن هجره مر كرهه (الخ
فأقرله ثلاثة أبغل دراهم .

ولما بلغه (بأن الناس يلومونه فيه وفي ترك النظر في أمور الناس)

قال : (ما يريد الناس من ص ب عن يهوى كئيب

ليس ان قيس خليا قلبه مثل القلوب

كوتر ديني ودينا ي وسقي وطيبني

أعجز الناس الذي يدا حي محبا في حبيب^(١) .

ولما رأت زبيدة (ان ولدها الامين قدم الخدم وآثرهم ورفع منازلهم
ككوتر وغيره ، ورأت شدة شغفه واشتغاله بهم اتخذت الجواري الحسان
الوجوه ، وعممت رؤسهن ، وجعلت لهن الطرر والاصداغ^(٢) . والبستهن
الاقبية^(٣) والمناطق^(٤) فبانن قدودهن ، وبرزت أردافهن ، وبعثن بهن

(١) تاريخ الخطيب (٤ : ٣١٤) .

(٢) يقصد انها صفت شعر رؤسهن كتصفيف شعر رؤس العلمان في ذلك العصر .

(٣) الأقبية : واحدها القباء ، وهو ما يسميه العراقيون بـ (الزبون) .

(٤) المناطق : واحدها المنطقة ما يشد به الوسط (حزام) .

اليه ، فاستحسنهن واجتذبن قلبه وابرزهن للناس من الخاصة والعامة ،
واتخذ الناس من الخاصة والعامة الجواري المطمومات^(١) والبسوهن الأقبية
والمناطق وسموهن الغلاميات^(٢) .

أرأيت أن أمير المؤمنين محمد الأمين لم يكن يرغب في الجواري الحسان
حتى البستهن زبيدة لباس الغلمان ، وأخرجتهن بزي الرد الملاح . إقرأ هذه
القصة وتدبر هل تصدق على من اتخذ الغلاميات قول الدكتور : انه نشأ
من (تحبيذ الحجاب وحجر المرأة) ، (عادة الانحراف الجنسي في الرجل
والمرأة معاً . فالإنسان ميال بطبيعته نحو المرأة والمرأة كذلك ميالة نحو
الرجل . فإذا منعنا هذه الطبيعة من الوصول الى هدفها بالطريق المستقيم
لجأت اضطراراً الى السعي نحوه في طريق منحرف^(٣)) .

فهل الذين اتخذوا الغلاميات من الخاصة والعامة في ذلك العصر اتخذوهن
لأنهم منعوا من الوصول الى المرأة ؟ أم ان ذلك كان من العامة تقليد آمنهم
للطبيعة الحاكمة ؟ وكان من امير المؤمنين والخاصة ، بدافع الترف والانطلاق
وراء هوى النفس بكل حرية ، (وإذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها
ففسقوا فيها) .

وما أرى الدكتور الوردي إلا محبذاً لهؤلاء في عملهم لأنهم عالجوا
(داء الصراع النفسي) في أنفسهم بهذا العلاج !!! .

(١) طم البشر دفنها وسواها والجواري المطمومات كناية عن ترك نكاحهن من
الطريق الطبيعي .

(٢) نقلتها مخلصاً من مروج الذهب للمسعودي (٢ : ٥١٧) .
وفي الديارات ص ١٠٥ عن عريب الغنية انها قالت : كفت وصيفة لحمد الامين
البس قباء ومنطقة وأقوم على رأسه وربما سقيته وسني اذذاك (١٧) سنة .
(٣) وعاط السلاطين ص ٩ .

في عصر المأمون

شكى البصريون الى المأمون عن قاضيهم يحيى بن اكنم بن عمر بن أبي
رياح التميمي (وانه أفسد اولادهم بكثرة لواطه) و (ظهرت منه الفواحش
وارتكاب الكبائر) وذكروا له آياته (في صفة الغلمان ومراتبهم)
فغزله عنهم فقال فيه ابن أبي نعيم :

(يا ليت يحيى لم يلد له اكشمه)

ولم تظأ أرض العراق قدمه

ألوط قاض في العراق نعلمه

قال المسعودي : وضرب الدهر ضرباته فأتصل يحيى بالمأمون وناداه
ورخص له في أمور كثيرة فقال له يوما : يا أبا محمد من الذي يقول :

قاض يرى الحد في الزناء ولا

يرى على من يلوط من بأس)

قال : ذلك ابن أبي نعيم القائل :

ما أحسب الجور ينقضي وعلى الأمة وال من آل عباس

فجعل المأمون ونفى الشاعر الى السند .

وبلغ من اذاعته ومجاهرته باللواط ان المأمون أمره ان يفرض لنفسه
فرضاً يركبون بركوبه ، ويتصرفون في أموره ، ففرض أربعائة غلام مرد
اختارهم حساب الوجوه فافتضح بهم وقال في ذلك راشد بن اسحاق
آياتاً منها :

(متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها)

وقاضي قضاة المسلمين يلو ط (١)

ليت شعري ان كان عزل يحيى بن اكنم عن قضاء البصرة لاستهتاره
باللواط ، فما الذي سوغ للمأمون ان يوليه أرفع منزلة دينية بعد الخلافة
ويجعله قاضي قضاة المسلمين ، ويرخص له في أمور كثيرة ، أكان اللواط
تحت سمع الخليفة وبصره لا حرج فيه ؟ ١ .

ثم أتري من كان يخدمه ٤٠٠ غلام أمرد لم يكن يتهدأ له مئات
الجواري الحسن لتكون الطبيعة قد البأتة الى السير في الطريق المنحرف
كما يقول الوردى (٢) !!

في عصر المتوكل

الخليفة ووزيره وخادمه

كان الفتح بن خاقان يعشق شاهك خادم المتوكل وله فيه أشعار
منها قوله :

أشاهك ليلى مذ هجرت طويل

وعيني دماً بعد الدموع تسيل (الخ

واشتهر أمره فيه حتى بلغ المتوكل . (وكان ابو عبدالله نديم المتوكل
يسمى فيما يحبه الفتح فعرف المتوكل الخبز وقال له : انما أردتك وأدنيك
لتنادمني ، ليس لتقود على غلماني) . فنفاه الى تمكريت وأمر بقطع أذنه (٣) .

(١) راجع مروج الذهب للمسعودي (٢ : ٣٢٨ - ٣٢٩) .

(٢) راجع قبله ص ٣٤ .

(٣) ص ٤ و ٥ من الديارات لأشأ بشقي .

المتوكل يفري الخليع بالنفزل بخادمه

كان المتوكل يعرض عليه الهدايا في يوم نوروز وشفيع الخادم واقف
وعليه الاقبية الموردة (وهو أحسن الناس وجهاً فيها) ، فجعل المتوكل
يدفع الى شفيع قطعاً من (العنبر ، ويقول : ادفعا الى حسين ، واغمر
يده فيفعل ذلك) . فأنشأ الخليع يقول ابياتاً منها :

له عبثات عند كل تحية

بكفيه تستدعي الخلى الى الوجد

تمنيت أن أسقى بكفيه شربة الخ

(فأمره المتوكل أن يسقيه ، وقال : قد أعطيناك أمنيته (١)) .

إني لياخذني العجب كلما فكرت في أمر أمير المؤمنين المتوكل
والمأمون وشدة تنكيلهما بالقائلين بخلق القرآن أو قدمه ، في حين أنها
كانا لا يريان (في اللواط من بأس (٢)) !!!

ولم يكن الخلفاء من بعده هؤلاء ، أقل غراماً بالغلان من اسلافهم فإن
المعتز كان يهوى يونس بن بغا (فلم يكن يفارقه ولا يصبر عنه) ، وقد
تفزل فيه بأبيات كثيرة (٣) .

وكان المعتمد يهوى غلامه بدر الجلنار وله أبيات غزل فيه وفي غيره
من الغلمان (٤) .

(١) الديارات للشا بشقي ص ٣٧ - ٣٨ ، وفي مروج الذهب للمسعودي (٢: ٣٩٤) أن المتوكل أمره أن يقول فيه أبياتاً .

(٢) أمر المأمون بمعاينة القائلين بقدوم القرآن من أمثال أحمد بن حنبل . والمتوكل أمر بمعاينة القائلين بأن القرآن مخلوق .

(٣) الديارات للشا بشقي (١٠٤ - ١٠٧) و (٦٤ - ٦٥)

(٤) الديارات للشا بشقي (٦٦ - ٦٩)

وكان للمعتضد غلام يهواه اسمه بدر ويكنى أبا النجم (وكان يلتصق
 الحوانج به من المعتضد وكانت الشعراء تقرن مدح بدر بمدح المعتضد) .
 ورآه ذات يوم قادماً فتمثل قائلاً :
 (في وجهه شافع يححو اساءته ^(١)) الخ
 وقال المكتفي في عبده :

(من لي بأن تعلم ما القى
 فتعرف الصبوة والعشقا
 ما زال لي عبداً وحيي له
 صيرني عبداً له رقا
 اعتق من رقي ولاكنني
 من حبه لا أملك العتقا ^(٢))

وكان أمراء المسلمين — أولاد الخلفاء — في ذلك العصر — عصر
 الفساد — من أمثال صالح بن الرشيد ^(٣) والفضل بن العباس بن المأمون
 أكثر تهتكاً واستهتاراً من آبائهم الخلفاء .
 وكان هؤلاء الحكام يشجعون شعراء المجنون من أمثال الحسين بن
 الضحاك الخليع ^(٤) على التغزل بالغلمان ، ويهبونهم العطايا الجزيلة على ذلك

(١) مروج الذهب للمسعودي (٢ : ٤٩٢ - ٤٩٣) . في ترجمة المكتفي .

(٢) مروج الذهب للمسعودي (٢ : ٤٩٩) .

(٣) هو ابن هارون الرشيد من زوجته رثم . راجع الديارات للشابشي .

(٤) ٣٨ - ٣٩ ، والافغاني « ٦ : ١٧٦ و ١٧٧ » .

(٤) شاعر ماجن نادم الأمين وهجره المأمون ثم نادى ببقية الخلفاء الى المستعفين

ومحمي بالخليع لكثرة مجونه وخلافته مات ببغداد سنة ٢٥٠ هـ راجع الديارات

لشبابشي « ص ٢٢ و ٣٥ و ٣٩ » و معجم الادباء (٤ : ٣٠ - ٣٨) .

في حين انهم كانوا يسجنون موسى بن جعفر (ع) ويسمونه في السجن (١)
ويحجرون على علي الهادي (ع) بعيداً عن دياره (٢)، ويضربون أمثال
ابن حنبل على رأيه ، وينصبون يحيى بن اكرم على قضاء المسلمين فمن
الأحرى أن نسمي تاريخ ذلك العصر بتاريخ عصر الطغيان ، لا تاريخ
العصر الذهبي !!!

إذا كان أمير المؤمنين في العصر الذهبي يغري باللواط ، ووزيره يلوط
ونديمه يقود ، وقاضي قضاء المسلمين يلوط فإن الرعية تكون كما
قال الشاعر :

إذا كان رب البيت بالدف مولماً

فشيعة أهل البيت كلهم الرقص

فهذا هو السبب الأول — على رأيي — في انتشار اللواط والسحاق
بين المسلمين منذ ذلك العصر . وكان السبب الثاني في انتشار اللواط وغيره
كالزنا ، وشرب الخمر ، وحياة المجنون ، انتشار الديارات المسيحية
في البلاد الاسلامية .

(١) موسى بن جعفر (ع) سابع أئمة أهل البيت ولد بالحجاز سنة ١٢٨ هـ ،
وبعث به الرشيد مخفوراً الى البصرة ، وسجنه بها ، وتم سجنه بغداد ودس اليه السم
في السجن فتوفي سنة ١٨٣ هـ بعد أن بقي في السجن ١٥ سنة .

(٢) علي الهادي عاشر أئمة أهل البيت (ع) ولد بالقرب من المدينة سنة ٢١٤
وحلبه المتوكل العباسي الى سامراء وبقي فيها حتى توفي سنة ٢٥٤ هـ وقبره بها
مزار للمسلمين .

الديارات المسيحية

وللديارات المسيحية في العصر العباسي قصص خلاعية ذكرتها الكتب الأدبية المؤلفة في نفس العصر كالديارات للشابشتي ، والاغاني للاصبهاني ومعجم البلدان لياقوت الحموي .

وكان مؤسسو تلك الديارات قد شيدوها في أماكن حسنة نزهة بين الحدائق والاشجار ، وقد اشتهر بعض تلك الديارات بمجودة خمورها التي كانت تصدرها الى البلاد المجاورة لها .

وكان أهل البطالة والخلاعة يجدون في تلك الأديرة من الفتيات الحسان والامارد الملاح ما يجلبهم اليها ، فكانوا يقصدونها للهو والطرب ويعتكفون فيها ويقضون أيامهم بين السكر والغناء وخاصة في أيام أعياد النصارى اذ كان يجتمع اليها خلق كثير من الجنسين طلباً للانس والمتعة ، وقد اقتطفنا من قصصهم الكثيرة نفعاً للبرهنة على مبلغ تأثير تلك الديارات في اخلاق المجتمع آنذاك . يقول الشابشتي في ترجمته عن دير در مالس (١) :

(وأعياد النصارى ببغداد مقسومة على ديارات معروفة ، منها اعياد الصوم (٢) . فالأحد الاول : عيد دير العاصية (٣) . والاحد الثاني دير الزرقية (٤) والأحد الثالث : دير الزندرود (٥) والاحد الرابع دير

(١) كان هذا الدير في أعلى بغداد بالجانب الشرقي منها .

(٢) يقول الاستاذ كوركيس : يريد به (الصوم الكبير) ومدته خمسون يوماً الديارات ص ٣ .

(٣ و ٤) لم يعلم عنهما شيء .

(٥) كان بالجانب الشرقي من بغداد ، وأرضها كلها فواكه وارج وأعناب ، وهي من اجود الاعناب التي تعصر ببغداد ، وفيها يقول أبو نؤاس : فسقني من كروم الزندرود ضحى . الخ راجع الديارات ٢١٥ .

در مالس هذا . وعيده أحسن عيد ، يجتمع نصارى بغداد اليه ، ولا يبقى
أحد من يحب اللهو والخلعة إلا تبعهم . ويقيم الناس فيه الايام ، ويطرقونه
في غير الاعياد (١) .

وذهب اليه عبدالله بن حمدون النديم (٢) طلباً للانس بعد أن فقه
المتوكل (٣) لقيادته على غلامه شاهك (٤) فبقي هناك وشرب وطابت نفسه
وشغف بالأحداث الذين كانوا يقضون حوائجهم ويحيئونهم بالطرفة
والتحية (٥) فأنشد في وصفهم :

(يا دير در مالس ما أحسنك
ويا غزال الدير ما أفتنك) الخ

دير سمالو

كان شرقي بغداد (وعيد الفصح ببغداد ، فيه منظر عجيب . لأنه
لا يبقى نصرائي إلا حضره) (ولا أحد من أهل التطرب واللهو إلا قصده
للتزده فيه . وهو أحد منزهات بغداد المشهورة ، ومواطن القصف
المذكورة .

وللشعراء فيه وفي سكاكه غزل وتشبيب (٦) .

(١) راجع الديارات ص ٣ .

(٢) كان نديماً للمتوكل . راجع الديارات (٤ — ٨)

(٣) كان عاشراً خلفاء بني العباس وتوفي سنة ٢٤٧ هـ راجع المسعودي (٢ : ٣٦٨ - ٣٩٨)

(٤) راجع ما قبله ص ٣٦

(٥) التحية : التحفة والطرفة . طاقة من الازهار والرياحين أو غيرها مما يحي بها

الندماء راجع الديارات (٤)

(٦) راجع الديارات (٩ - ١٠) . ومعجم البلدان

دير الثعالب

كان بالجانب الغربي من بغداد على بعد ميلين ، قال الشابشتي :
(وأهل بغداد يقصدونه ويشتهرون فيه ، ولا يسكاد يخلو من قاصد وطارق . وله عيد لا يختلف عنه أحد من النصارى والمسلمين) .

(ولا بن دهقانة الهاشمي ^(١) فيه) أبيات منها :

(دير الثعالب مآلف الضلال

ومحمل كل غزالة وغزال

ومنعم دين المسيح دينه

غنج يشوب مجونه بدلال ^(٢))

والشاعر سبط ابن التعاويذي المتوفي سنة ٥٥٣ هـ فيه أبيات منها :

وغزال علقته يوم دير الثعالب

من ظباء الصريم يخطف في زي راهب ^(٣)

دير الجاثليق

كان ببغداد . قال الشابشتي ^(٤) فيه : (وهو مقصود مطروق لا يخلو من

(١) ابن دهقانة هذا من ولد ابراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس ، ويعرف بأبي جعفر محمد بن عمر . (الديارات ١٧)

(٢) راجع الديارات (١٦ - ١٧ و ٢١٩ - ٢٢٠) ومعجم البلدان (٤) : (١٢٩) من بغداد .

(٣) ذيل الديارات (٢٢٠) ويحيى في ص ٢٢١ - ٢٢٢ عن راهبة أغرت اثنين في يوم عيد (الذكران) .

(٤) في الديارات (١٨) .

المتنزهين فيه والقاصدين له . وفيه رهبانه وفتيانه ، ومن يألفه من
أهل الخلاعة والبطالة .

وقالت الشعراء فيه ووصفته ولحمد بن أمية الكاتب ^(١) فيه :

تذكرت دير الجائلق وفتية

بهم تم لي فيه السرور وأسعفا

أغازل فيه أدعج الطرف أهيفا

وأسقى به مسكية الطعم قرقفا ^(٢)

دير مديان ^(٣)

كان ببغداد قال الشابشتي (يقصد للتنزه والشرب ، ولا يخلو من قاصد
وطارق ، وهو من البقاع الحسنة الزهية) .

(وكان أبو علي بن الرشيد يلزم هذا الدير ويشرب فيه ، وكان له
قيان ^(٤) يحملهم اليه ويقيم به الأيام لا يفتر عزفا وقصفاً ، وكان شديد
التهتك ! وكان من مجاور الموضع يشكون ما يلقون منه) .

فنهاه (خليفة السلطان ببغداد) فخرى بينها كلام أغضب الوالي فيه .
فجاء اليه ليلاً ، (وأمر أن يفتح باب الدير ، وينزل به على الحال التي هو
عليها فأنزل به وهو سكران) فجلده ٣٠ جلدة وأرسل به الى داره ^(٥) .

(١) كان كاتباً للفضل بن ربيع . الديارات (١٩)

(٢) القرظ من أسماء الخمر .

(٣) الديارات (٢١ — ٢٢) ومعجم البلدان (٤ : ١٧١) .

(٤) القيان : واحدها القينة وهي الامة المغنية .

(٥) الديارات (٢١ — ٢٣) .

دير قوطا

كان على بعد سبعة فراسخ من بغداد بالقرب من الخالص . قال الشابشتي : (ان في هذا الموضع ما يطلبه أهل البطالة والخلاعة من الوجوه الحسان ، والبقاع الطيبة النزهة ، فليس يكاد يخلو . ولعبد الله بن العباس ابن الفضل بن الربيع ^(١) فيه :

يا دير قوطا ، لقد هيجت لي طربا
ازاح عن قلبي الاحزان والكربا
وشادن ما رأت عيني له شبرا
في الناس ، لا عجبما منهم ولا عريا
اقت بالدير حتى صار لي وطنا
من أجله ولبست المسح والصلبا ^(٢)

عمر الزعفران

قال الشابشتي : وشرابه موصوف يحمل الى نصيين وغيرها وليس يخلو من أهل القصف واللعب فهو وسائر بقاعه معمورة بمن يطرقه ^(٣) (ولمصعب الكاتب ^(٤) في دير عمر الزعفران) ابيات منها :

(١) كان عبد الله هذا (صاحب غزل ومجون ، كثير التطرح في الديارات والحنانات والاتباع لاهل اللهو والخلاعة وكان في أيام المعتصم . راجع الديارات (٤١ و ٤٢)
(٢) المسح ثوب من الشعر يلبسه الرهبان تقشفا .
(٣) الديارات (١٢١) .
(٤) يقول الشابشتي : (وكان مصعب هذا من أشد الناس تهتكاً وأكثرهم خلاعة ومجوناً واستهتاراً بالمرء وتطرحاً في الحانات والديارات) الديارات (١٢٣)

عمرت بقاع عمر الزعفران بفتيان غطارفة هجان
 وبنوهم ، وبوحننا وشعيا ذوو الاحسان والصور الحسنان
 رضيت بهم من الدنيا نصيبي غنيت بهم عن البيض الغواني
 اقبل ذا والتم خد هذا وهذا مسعد سلس العنان^(١)
 دير مريحنا

قال الشاذلي : (وهذا الدير الى جانب تكريت) (مطروق مقصود لا يخلو من المتطربين والمتنزهين) .

وقال فيه عمرو بن عبد الملك الوارق^(٢) .

أرى قلبي قد حنا الى دير مريحنا
 الى ظبي من الانس يصيد الانس والجنا
 الى احسن خلق الله ان قدس أو غنا
 فلما دارت الكأس أدركنا بيتنا لنا
 ولما جمع السما ر غنما وتعانقنا^(٣)

دير مرمار

كان جنوب سامراء (وحوله كروم وشجر) ، وكان من المواضع الزهرة والبقاع الطيبة الحسنة .

وللفضل بن العباس بن المأمون فيه ابيات منها :

انغيت في سر من را خيل لذاتي
 ونلت فيها مني نفسي وشهواتي
 عمرت فيها بقاع اللهو منغمسا

(١) الديارات (١٢٢) ومعجم البلدان (٤ : ١٤٢) .

(٢) قال الشاذلي : وكان عمرو هذا من الخلاء الحبان ، المهتمكين في البطالة والحسرة والاستهتار بالمرء والتطرح في الديارات .

(٣) الديارات (١٤٩ - ١١٠) ومعجم البلدان (٤ : ١٧٩)

في القصف ما بين أنهار وجنات
 بدير مرمار إذ نحي الصبوح به
 ونعمل الكأس فيه بالعشيات
 بين النواقيس والتقديس آونة
 وتارة بين عيـدان ونايات
 وكم به من غزال أغيد غزل
 يصدنا بالأحاظ الباليات

وذكر الفضل هذا انه خرج ذات يوم مع المعتر، ويونس بن بغا للصيد
 فانقطعوا عن الموكب ، وشكا المعتر العطش ، فأرشداهم الفضل الى هذا الدير
 فصاروا الى الديراني فرحب بهم وسقاهم وأطعمهم .

قال الفضل : فسألني الديراني عن المعتر ويونس بن بغا . فقلت : هما
 فتيان من أبناء الجند . فقال : بل مفلتان من ازواج الحور . فقلت : هذا
 ليس من دينك ولا اعتقادك ! قال : هو الآن من ديني ! فضحك المعتر .
 (فقال لي المعتر قل له ، بنك ويدينه : من تحب أن تكون معك من هذين
 ولا يفارقك ؟ قال : فقلت له ، فقال : كلاهما وترا ^(١) فضحك المعتر حتى
 مال من الضحك ، فقلت للديراني : لابد من أن تخير . فقال : الاختيار
 في هذا دمار ما خلق الله عقلا يميز بين هؤلاء . الخ ^(٢)
 دير العذارى ^(٣)

يقول الشابشتي : وانما سمي بدير العذارى لان فيه جوار متبتلات

(١) مثل عربي تديم « جمع الامثال للميداني ٢ : ٦٥ »

(٢) راجع الديارات « ١٠٤ - ١٠٥ » والاغاني (٨ : ١٧٩)

(٣) كانت من ناحية جبيل ، قال الشابشتي : وهو دير حسن عاصر حوله البساتين
 والسكرور ، وفيه جميع ما يحتاج اليه . ولا يدخل من منزله بقصده للشرب واللعب
 راجع الديارات (٦٩ - ٧٠) ومعجم البلدان (٤ : ١٥٧) ، وفي عيون الاخبار
 (٤ : ١١٢) ! والمسالك (ص ٢٦٠ - ٢٦١)

هذاري ، هن سكانه وقطانه فسمي الدير بهن .
وروي ياقوت الحموي : (ان جماعة من اللصوص مروا عليها ليلاً وشدوا
القس وثاقاً لينيكوا الراهبات الابكار وإذا بهن ثياب كلهن قد فرغ
القس منهن قبلهم فقالوا فيهن :

ودير العذاري فضوح لهن وعند القسوس حديث غريب
خلونا بعشرين صوفية ونيك الرواهب أمر غريب
وفي الديارات : (فقال بعضهم في ذلك :

والوط من راهب يدعي بأن النساء عليه حرام
يحرم بيضاء ممكورة ^(١) ويغنيه في البضع عنها غلام الخ

دير بأشهر

قال الشابشتي : (وهذا الدير على شاطئ دجلة « بين سامراء وبغداد »
وهو دير حسن ، عامر ، نزه كثير البساتين والكروم . وهو أحد المواضع
المقصودة والديارات المشهورة ، والمنحدرون من سر من رأى والمصعدون
إليها ينزلونه . فمن جملة طريقاً ، بات فيه وأقام به ان طاب له . ومن قصده
أقام الايام في الد عيش وأطيبه ، وأحسن مكان وانزله .

ولابى العيناء ^(٢) فيه ، وكان نزله وأقام به أياماً ، واستطاب به
وقال فيه ايات :

(١) الممكورة المستديرة السابقين .

(٢) هو محمد بن أبي القاسم التهامي مات سنة ٢٨٢ هـ راجع الديارات (٥٢)

— (٦٠) —

نزلنا دير باشهرا على قسيه ظهرآ
 وطاب الوقت في الدير فربطنا به عشرا
 وسقيناه به الشمس ^(١) وأخدمنا به البدر
 ولننا كل ما نهوا من لذاتنا ، جهرا
 فتمكنا ونهتكمنا ومثوا هتك السترا
 وقد ساعدنا ربا ن طوعاً منه ، لا جبراً الخ

دير احويشا

كان بديار بكر ، (وكان يحمل خمره الى ما حوله من البلدان لجودته ^(٢)) ، وكان (الخلعاء والمتطربون أغلب عليه من أهله وللبادي الشاعر ^(٣)) فيه أبيات منها :

نؤم بدير احويشا غزالا غريب الحسن كالقمر اللياح ^(٤)
 نزلنا منزلا حسناً أنيقاً بما نهواه معمور النواحي
 وساعفنا الزمان بما أردنا فأبنا بالفلاح وبالنجاح

(١) قال الدكتور مصطفى جواد امل الاصل (وسعينا به الشمس) وهذا كناية عن جمال الخادم . أقول : امل الناظم يشبه الخمر بالشمس في اشعاعها فيكون كناية عن الخمر ويقصد انهم قد سقوه خمرآ .

(٢) معجم البلدان (٤ : ١٢١) والديارات (١٢٧)

(٣) هو أبو بكر احمد بن محمد كان من ذوي المجانة والخلاعة .

(٤) اللياح : الالبيض الناصع

دير الطور^(١)

في الديارات (وحوله كروم تمصر ، فالشراب عندهم كثير) ، والناس
يقصدونه من كل موضع فيقيمون به ويشربون فيه ، ولمهمل^(٢) فيه
أبيات منها :

نهضت الى الطور في فتية
سراع النهوض الى ما أحب
أنحت الركاب على ديره
وقصيت من حقه ما يجب
وأحضرتهم قمرأ مشرقاً
تميل الغصون به في الكتب الخ

دير الروم ببغداد

وكان مدرك بن علي الشيباني (يطرق هذه البيعة في الآحاد والاعياد
للنظر الى من فيها من المردان ، والوجوه الحسان من الشامسة والرهبان
في خلق ممن يقصد الموضع لهذا الشأن) .
ومما قال فيه :

(١) الديارات « ١٣٢ - ١٣٣ » ومعجم البلدان (٤ : ١٥٢ - ١٥٣) .

(٢) هو مهمل بن يموت بن موسى بن حكيم وكان من شعراء القرن الرابع
الهجري ، قال الشافعي (وكان المهمل من المطبوعين في الشعر ، والمنهمكين في
الخلاعة واللعب والتطرح في مواطن اللهو والطرب ، ملازماً لألحانات والديارات .

ريم بدير الروم رام فتلي بنقلة كحلاء لا عن كحلي
وطرة بها استطار عتلي وحسن دل وقبيح فعل^(١)

دير الزندرود

كان بالجانب الشرقي من بغداد ، (وأرضها كلها فواكه وأعناب وهي
من أجود الاعناب التي تعصر ببغداد) وقال جحظة فيه :

سقيا ورعيا لدير الزندرود وما
يحوي ويجمع من راح وريحان
دير تدور به الاقداح مترعة
من كف ساق مريض الطرف وسنان
والعود يتبعه ناي يوافقه
والشدو يحكمه غصن من البان
والقوم فوضى ترى هذا يقبل ذا
وذاك انسان سوء فوق انسان^(٢) الخ

دير الخوات^(٣)

قال الشافعي : (دير كبير عامر يسكنه نساء مترهبات ، متبتلات^(٤)

فيه .

(١) الديارات « ٢١٥ » ومعجم البلدان (٤ : ١٤١) .

(٢) الديارات (٢١٥ - ٢١٦) ومعجم البلدان (٤ : ١٤٣ - ١٤٤) .

(٣) الخوات تحريف الاخوات ، والمقصود منها هنا الراهبات . وكان هذا
الدير بكبرا ، وتلوه عكبرا لانزال موجودة في الجنوب الشرقي من بلدة سمكة الحالية .

(الديارات ٢٢٩) . ومعجم البلدان (٤ : ١٣٦ - ١٣٧) !

(٤) متبتلات أي تاركات للزواج ، ومنقطعات عن الدنيا الى الله .

وعيده الاحد الاول من الصوم . يجتمع اليه كل من يقرب منه من
النصارى والمسلمين ، فيعيد هؤلاء ، ويتزده هؤلاء . وفي هذا العيد ليلة الماشوش ،
وهي ليلة تختلط النساء بالرجال ^(١) ، فلا يرد أحد يده عن شيء ، ولا يرد أحد
أحداً عن شيء . وهو من معادن الشراب ، ومنازل القصف ^(٢) ،
ومواطن اللهو .

هل يدعو الدكتور الوردى الى الحياة في مجتمع كهذا ليعيش الانسان
حرّاً طليقاً ، فلا يصاب بمرض ازدواج الشخصية - أم الامراض
الاجتماعية ؟ ^(٣) .

دير زرارہ

كان بالقرب من الكوفة على طريق بغداد . قال الشافعي : (وهو
موضع نزه حسن ، كثير الحانات والشراب) ، (لا تخلو ممن يطلب اللب
واللهو ويؤثر البطالة . وهو من المواطن المستصلحة لذلك .

قال خرج يحيى بن زياد ^(٤) ومطيع بن أبياس ^(٥) حاجين فلما قربا من
دير زرارہ ، قال أحدهما لصاحبه : هل لك ان تقدم أئقنا ونغضي الى
زرارہ ، فنشرب في ديرها ليلتنا ، وننزود من مردها وخمرها ما يكفيننا
الى العودہ ، ثم نلحق بأئقنا ؟ ففعلا . وسار الناس ، وأقاما ولم يزل ذلك

(١) الديارات (٦٠ - ٦) ويقول الاستاذ كوركيس وفي (ليلة الماشوش
لحيب الزيات ، والديارات النصرانية (١٠٩ - ١١٢) ما يدحض هذه التهمة .

(٢) القصف . الاقامة في الاكل والشرب واللهو . صوت المعازف . الاعلان باللهو .

(٣) راجع (شخصية الفرد العراقي) للدكتور الوردى - ٢٠ - ٦٠ .

(٤) هو يحيى بن زياد الكوفي ابن خال أبي العباس السجاح . وكان شاعراً ماجناً

(٥) كان مطيع بن أبياس للكوفي شاعراً خليعاً ماجناً .

دأبها (الى ان انصرف الحاج) ، (خلقا رؤسها وركبا بعيرين ودخلا
مع الحاج فقال مطيع :

ألم ترني وبحي إذ حببنا وكان الحج من خير التجارة
خرجنا طالبي حج ودين فقال بنا الطريق الى زارة
فآب الناس قد غنموا وحجوا وأبنا موقرين من الخسارة
وقال أبيتاً منها :

وصاحبنا بها ديراً وقسيساً وخمــــاراً
وظلياً عاقداً بين النب قفا والخصر زناراً
شرحنا لك أخباراً وأدجنناك أخباراً^(١)

* * * *

لقد ذكرنا بعض الديارات المسيحية في العصر العباسي ، وأشرنا الى
بعض ما كان يجري فيها . فماذا كان يجري فيها ؟ .

يقصد بها الناس من كل موضع^(٢) ويتطرح فيها أهل البطالة
والخلاعة^(٣) ويمجدون فيها ما يطلبون^(٤) فهي من مواطن القصف
واللهو^(٥) والشراب عندهم كثير^(٦) ، ويحمل خمره الى ما حوله من
البلدان^(٧) فالدير مألف الضلال ومحل كل غزاة وغزال^(٨) .

والقوم فوضى ترى هذا يقبل ذا وذاك انسان سوء فوق إنسان

(١) راجع الديارات ١٦٠ - ١٦٢) والافاني (٣ : ٤١)

(٢) راجع قبله دير الطور ص ٤٩ ودير الحوات ص ٥٠

(٣) » » دير الجائليق ص ٣ ، ودير قوطا ص ٤٤

(٤) » » دير الحوات ص ٥٠

(٥) » » ص ٤٨

(٦) » » دير الطور ص ٤٩ ودير الزندرد ص ٥٠ ودير زارة ص ٤٨

(٧) » » عمر الزعفران ص ٤٤

(٨) » » دير النعاب

وقد يقصده طارق لينيقي به ظهراً ، في رابط به عشراً ، ويساعده ربانه
طوعاً لا جبراً^(١) وآخران يذهبان الى الدير ليتزودا من سردها وخمرا ليلة
واحدة ثم يلحقا بركب الحاج واذا بهما يرابطان به موسم الحج كله^(٢) .
هذه هي الديارات المسيحية في العصر العباسي : خمر ، ومرد ، ونائي ،
وعود .

* * * *

قد لا يستطيع الانسان من مخالفة الطبيعة في حياته وان اعلن ذلك .
فيخضع للطبيعة سراً ، إن خالفها جهراً . وذلك امر موافق للطبيعة .
ولكن ليس من الأمر الطبيعي أن تنقلب الديارات التي شيدت للعبادة
والانقطاع الى الله . للتبتل والترهب الى معاصر الخمر ، وأماكن للقصف
فيجد الخلفاء والمجانون فيها كل ما يشتهون حتى يأتي ذكرها مرادفاً
للحانات والمواخير !!!

اني أشك أن يكون هذا أمراً طبيعياً بل أراه امراً احكم تديره
والذين ذكروا الديارات لم نجد عندهم شيئاً يكشف لنا عن هذا القموض
فلن قسماً منهم قد اثبت ما وقع في الديارات فكاهة ونظراً فحسب .

وقابل هؤلاء جرجي زيدان فوصف لنا الديارات بغير نعتها ، وخلق
المناسبات في قصصه للإشادة بذكرها ، فكأن الغاية من وضعه القصص
التي كتبها باسم التاريخ الاسلامي بث الدعاية للديارات المسيحية وقد برع في
وصفها بالروحانية المحضة ولعلك لاتجد في كل ما كتب شيئاً من الحوادث

(١) راجع قبله ص ٤٨ - (٢) راجع قبله دبر ورقة ص ٥١

الواقعة في الديارات في مؤلفاته . فهو اذن لم يكن مؤرخاً محايداً يبحث
عن الحقيقة والتاريخ فيما كتب بل هو دافع من دعاة الاديرة .
لم نجد من يكشف لنا الغموض في أمر الديارات ، ويشير الى سبب
انقلابها الى حانات ومواخير في ذلك العصر مما لا نجده في عصرنا الحاضر
ولا في سائر العصور .

واني أشك في الامر !! ولعل السياسة هي التي أفسدت الاديرة في ذلك
العصر خاصة . فالتتبع للتاريخ يرى العباسيين منصرفين الى شن الحروب
على الروم المسيحية صيفاً وشتاء ، وكان طبيعياً أن يؤثر في هؤلاء الغزاة
حياة الخلاعة والمجون وتلهيهم عن الجد في الحرب ، وأنت ترى في
مرتادي تلك الاديرة الخلفاء ، والامراء ، والولاة ، والندماء^(١) ، وترى
ان تلك الاديرة كانت منتشرة في كل موضع من البلاد مما كان يساعد
سكانها على الاطلاع على أسرار المملكة الاسلامية المترامية الاطراف
وحركات الجيش فيها . كل ذلك يحملنا على الشك والريبة في أمر تلك
الاديرة وان نرى ان سياسة الدول المسيحية هي التي أفسدت ودست بين
أهلها من قلبها الى مواخير وحانات تقصد المجتمع الاسلامي .

ومهما نشك في أمر فلا نشك في ان تلك الاديرة قد ساعدت على
انتشار أنواع الفسق والمجون بين المسلمين بما فيها اللواط ، ودعانا ذلك الى
ان نرى فيها سبباً ثانوياً لانتشار هذا الانحراف الجنسي في ذلك العصر
إن لم نعد السبب الاول .

بعد انتهائنا من بحث اسباب انتشار الشذوذ الجنسي في بلادنا نقول :

١ — في الديارات ص ١٣٩ عن دير زكي « وكانت الملوك اذا اجتازت به
نزلته وأقامت فيه . وفي عمر يونان ص ١٦٦ - ١٦٧ منه . وكذلك دير الاعلى بالموصل
ص ١١٢ من الديارات وكذا غيرها من الاديرة .

ان الانحراف الجنسي ليس منحصرآ بالمسلمين وملازماً للحجاب كما يدعيه الدكتور الوردى^(١) بل ان الشذوذ الجنسي يمتد الى جميع العصور . ينقل الدكتور نخري المصري في كتابه الضعف التناسلي^(٢) ان جيته الشاعر الالماني الشهير كتب : (عمرت اللواط ما عمرته البشرية) .

ويقول الدكتور نخري عن اليونانيين : ان تاريخهم (منعفس في اللواط واللواط متجسمة فيه) فانه (لم تكن المرأة لديهم خليفة بالتمتع بها إلا في حالات ذرة) . وان متشرعهم العظيم سولون نادى بمعاقة اللواط بين الاسرى لانهم أحقر من أن يرتفعوا الى ذلك الخ .

وعن الرومانيين يذكر قصصاً في ذلك كالقيصر نيرون الذي اتخذ الصبي (سبورس) معشوقاً له الخ .

ويقول عن الفينيقيين انها كانت منتشرة بينهم وخصوصاً وسط صبيان المسارح وأما كن التسلية كالمراقص وغيرها وانتقلت الى مستعمراتهم ثم يذكر بعض قصصهم .

ويقول : وفي الصين واليابان توجد منازل للبغاء مع الذكور ، وكانت منتشرة عندهم منذ قديم الزمان ، وجائزة لديهم ، ومنتشرة في عهد (١٢) قيصر من قياصرة الصين ، والعاصمة بكين كانت مركز نشرها والمسرح كان مركز تجنيد الصبيان لها ، وكان الاهالي يكتسبون من تقديم أولادهم الى منازل خاصة بذلك .

وان افريقيا الشمالية والجنوبية لا تختلف عن أوروبا ومصر . وفي سائر أفريقيا والجزائر مثل (يونيو) و (مدغشكر) و (سوماطرا)

(١) وحاظ السلاطين ص ٨ و ٩

(٢) نقلت مائخدا من ص ١٣٥ — ١٣٩

و (جاوا) تجدها منتشرة لدرجة تجعل البغايا يحققن على الصبيان .
وفي استراليا وأمريكا الشمالية والجنوبية حالم كحال أوربا . وينقل
في بيان انتشارها عند قدماء المصريين عن المجاعة الشهيرة للأمراض
الجلدية (١) : (ان وجدت بردية « بابيروس » ترجع الى ٤٥٠٠ وبها
اللوطة لم تكن منتشرة فقط بين المصريين بل وبين الآلهة أيضاً) (٢) .
أما عند العرب الجاهليين فكان ذو شناتر يطالب أبناء الملوك بما
يطالب به النسوان وأظهر الفسق بالجن حتى قتله ذو نواس (٣) .
وان الكتب الدينية تحكي عن اهالي قرية سدوم (٤) انهم حين جاؤا
الى لوط ليأخذوا ضيفيه (كما في التوراة الاصحاح ١٩ من سفر التكوين)
فخرج اليهم لوط الى الباب واغلق الباب وراءه وقال : لا تفعلوا شراً
يا اخوتي هوذا لي إبنتان لم تعرفا رجلاً أخرجهما اليكم فافعلوا بهما كما
يحسن في عيونكم . وأما هذان الرجلان فلا تفعلوا بهما شيئاً لانهما قد دخلا
تحت ظل سقفي فقالوا ابعدا الى هناك) .
ويقول القرآن الكريم : (وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا
يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا
تخزون في ضيفي اليس فيكم رجل رشيد . قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك
من حق وأنت تعلم ما نريد (٥))

١ Monatschr. F. prakt. Dermatol. bd. 29 , 18 , 99 Nr 9 , S . 409 .

(٢) انتهى ما نقلناه عن كتاب الضعف التناسلي ص ١٣٥ - ١٣٩

(٣) مروج الذهب للمسعودي (٢ : ٦) والكامل لابن الأثير (١ : ١٤٩)

(٤) سدوم هي سمرين بلدة من أعمال حلب مجمع البلدان (٥ : ٥٤) .

(٥) سورة هود آية ٧٨ - ٧٩

وفي سورة الشعراء (أنأتون الذكرا من العالمين * وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون) آية ١٩٨ .
قرأنا عن الأمم القديمة فرأينا الترفين كما أخبر التوراة والقرآن أنما مالوا إلى الشذوذ الجنسي لا لقصورهم عن نيل المرأة وإنما كانوا يتركون المرأة ويطلبون الذكرا .

الشذوذ الجنسي في أوروبا

يقول الدكتور فخري في ص ١٧١ من كتابه الضعف التناسلي : (توجد في أكثرية عواصم البلدان الأوروبية نواد وجمعيات خاصة بالواطاة) . وفي ص ١٧٢ منه : (وإذا كانت العواصم الأوروبية كلها تقريباً مصابة بهذا الشذوذ التناسلي فإن (برلين) و (لوندرة) و (باريس) تحمل لواء الزعامة بهذا الشذوذ) .

وينقل عن بلوخ البحانة التناسلي الألماني أنه قال في الفصل التاسع عشر (لغز اللواطاة) من كتابه (Das sexuelle Leben unserer Zeit , I. Bloeh Berlin (1909)) إنه مما لا شك فيه أنه لا توجد تشكيلات اجتماعية المصابين بالواطاة في مدينة مثل ماها في برلين » .

وقد ذكر بلوخ في نفس الفصل من كتابه أسماء أماكن يتخذها المصابون بالواطاة (للتنزه والفسحة والمقابلة في عاصمة ألمانيا وأهم هذه Friedrichs Trasse ، وهو أهم شارع يحترق برلين و passge وهو يمر بوصل أهم ميدان في برلين بالشارع المذكور وهذا الممر يزدهم بالمارة و Tiergarten وهي الحديقة التي يحتضنها برلين . وأما باريس الحديقة فهناك في غابة (بلونيا) تكثر الآن اجتماعات المصابين بها .

وأما في باريس التاريخية فكانت توجد أما كن متعددة يتقابل فيها المصابون بها ، وكانت توجد (منازل لبغاء الذكور) وكان يوجد منزل في (Rue du Doyenne de Paris) معد لبغاء الذكور منذ سنة ١٨٢٠ الى سنة ١٨٢٦ وكانوا يفحصون القاطنين فحسباً طبيباً لوقاية الزائرين ضد الامراض التناسلية ، وكان يوجد منزل آخر في (Rue des Marais

وتوجد في لندن في حديقة هايد بارك نفس العلاقات المذكورة لحديقة براين الكبرى وتكثر حول القشلاقات العسكرية وفي الحي الشرقي (ايسٲ ايند) تكثر هذه العلاقات الشاذة كما توجد في الحي الغربي .

وما ذكرنا عن هذه العواصم ينطبق على اكثرية العواصم الأخرى . بعد ملاحظة ما لخصناه هنا من كتاب الضعف التناسلي ص ٩٧٠ - ٩٧٤ نعلم ان الازهري الذي ذهب الى باريس سنة ١٨٢٦ ، نفى وجود الشذوذ الجنسي هناك كانت ملاحظته سطحية كملاحظة دكتورنا الوردي في قوله : (ان المجتمع الذي يشتد فيه حجاب المرأة يشتد فيه في نفس الوقت الانحراف الجنسي من لواط وسحاق وما أشبه) ، وقوله : (وببدو ان وعاظنا يستسيغون الانحراف الجنسي بين الناس ولا يستسيغون انتشار السفور ، ولعلنا لا نقالي إذا قلنا ان الانحراف الجنسي منتشر بين الوعاظ اكثر من انتشاره بين غيرهم (١)) .

إذا بلغ هذا الكلام أجنبياً عن بلادنا الا يتصور ان السحاق بين نساء

(١) وعاظ السلاطين ص ٨ و ٩

المسلمين المحجبات أكثر من غيرهن وإن البغاء بالكور أكثر انتشاراً بين رجال المسلمين وخاصة بين طبقة الروحانيين من جميع رجال العالم . وذلك بشهادة استاذ علم الاجتماع الذي قد اطلع على الحياة الغربية وتخرج من جامعتها وهو ابن الشرق III . ألا يحق للاجنبي عنا ان يرى في كلامه حجة علينا ؟ وكذلك الأمر عند شبابنا الذين يتخرجون عليه أو يطالعون كتابه !

يقول الاستاذ عوني وفا الدجاني^(١) : ان الانسان يميل الى أفراد جنسه لبعده من أفراد الجنس الآخر كما يحصل عادة بين الجنوب ، والبحارة وتلامذة المدارس الخ .

وهذا امر طبيعي غير انه في الارسطاطالدينية ان شدة تمسك المتدين بدينه ومحافظته على تقاليدہ تمنعانه عن اقرار أمثال هذا الانم ، واذا شد واحد وعرف ارتكابه هذا الانم .

عند ذاك يهان الانم ، وينتشر أمره ، ويستهن فعله ، ويشنع عليه حتى يلتجئ ، أحياناً الى الهجرة من مجتمعه .

وفي غير الارسطاطالدينية لا يعاب بمثل ذلك ، ويهمل أمره ولا يذكر فلا يشهر .

(١) (بعضها)

* * * *

قد أطرى الدكتور الوردي وأثنى على حسن تربية الطلاب في المدارس

(١) استاذ علم النفس الجنائي بكلية الحقوق سابقاً في القسم الاول من كتابه علم النفس الجنائي ص ١٩٥ .

الغربية^(١) ولكن البروفسور بر كس^(٢) يقول عن فساد أخلاق الطلاب في أمريكا بعد سؤاله عن ٤٠٠ فتاة وفتي عن الأمور الجنسية :
(لو قارنتم سلوك الشبان قبل ٢٥ سنة ، وتفكيرهم بما هم عليه اليوم لا لاطعم على انحدار الاجتماعات البشرية الى الخفض المهلك من الفساد .
ثم يذكر نموذجاً من أجوبة الطلاب والطالبات على أسئلته . وفي بعضها ما شرحته إحدى الطالبات من كيفية تعرض الطلاب المستهجن للطالبات ، وملاحقتهن في الخلوات ، واستهزاء الطلاب بالفتاة الأيصة المحتنعة . ثم تحدث عما جرى بينهم مساء عندما داهمهم الظلام في إحدى نزعاتهم المدرسية .

وآخر يتحدث عن مغازلات الطلاب خلال أشجار الحدائق . الخ ثم يقول قبل ٢٥ سنة كانت نسبة قصص الغرام بين الشبان ١٠٠/٥ الى ١٠٠/١٠ ولكن اليوم لا أحد لما يرتكبه الشبان بلا قيد ولا شرط . وقد يتخذ الفتى الواحد عدداً من العشيقات ، وتتخذ الفتاة عشاقاً عديدين .
ان هذا الفساد الاجتماعي يزداد انتشاراً يوماً بعد يوم ، والاولياء لا يعيرون اهتماماً بذلك لانهم يرون (أن الشبان يلزمهم ان يتعلموا (البيولوجيا) .)

ان الشبان قبل ٢٥ سنة كانوا قد تعلموا (البيولوجيا) والفساد لم يكن منتشرأ كانتشاره في هذا اليوم) . الخ

* * * *

(١) ص ١٠ و ١١ من كتابه وعاط السلاطين .
(٢) أستاذ أوينورسته بشيكاغو في العدد ٧٣ من مجلة خواند نيهيا الايرانية

سنة ١٥ ص ٣٣ .

قال المؤلف في ص ٩ : (ظن وعاطنا انهم يستطيعون أن ينعوا الانحراف الجنسي بواسطة الكلام والنصيحة وحدها غير دارين بأن الانحراف طبيعة اجتماعية لا بد من ظهورها في كل بلد يحجب النساء فيه عن الرجال) .

إن الوعاظ لم يحاولوا « أن ينعوا الانحراف الجنسي بواسطة الكلام والنصيحة وحدها » . بل إن الوعاظ الأكبر (النبي) « ص » قد سهل في شريعته أمر الزواج ، وجوز الطلاق فيما إذا لم يتفق الزوجان وبذلك حفظ للطبيعة البشرية حقها في التمتع بالفرصة الجنسية ، وبالحجاب وضع حداً للمنجرفين وراء الشهوة الجنسية بلا قيد ولا شرط .

وقد يكون الانحراف طبيعياً « في كل مكان يترك الاتصال الجنسي الطبيعي فيه » كالأهبات والرهبان في الأديرة .

ولكنه ليس طبيعياً « في كل بلد يحجب النساء فيه عن الرجال » ويفسح لهم في الزواج إلا إذا كان علاج مرض الانحراف في الرجال منحصراً بمغازلة أمة امرأة شاة ، وفي النساء بمراودة أي رجل يهوينه . فإن الحجاب يمنع عن ذلك . وإن كان العلاج منحصراً بذلك ، فاني أنصح هؤلاء المرضى أن يذهبوا إلى مستشفى « كوبا » ويعالجوا أنفسهم باستعمال دواء « لعبة المفاتيح » (١) .

نقطة البحث

ليس هناك ترابط بين الحجاب والانحراف الجنسي ، ولا تلازم بين السفور والسلامة من الانحراف . فإن الحجاب قد اشتد في السنة الخامسة

(١) راجع قبله ص ٢٣

من الهجرة ، والانحراف قد ظهر في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري .
وقد استطاع الاسلام أن يكافح الشذوذ الجنسي بين تابعيه زهاء قرن
ونصف قرن كما فعلت المسيحية في فجر تاريخها ^(١) .

وكان سبب انتشار الانحراف بين المجتمع الاسلامي تفكه المترفين من
الطبقة الحاكمة آنذاك بهذه المتعة الجنسية ، وتقليد الشعب إياهم في ذلك
بعد أن ضعف الوازع الديني لدى الجميع .

وقد ساعدت الديارات على انتشار هذا الشذوذ وغيره من أنواع
التفسخ الخلقي . ولعل السياسة الرومانية هي التي أفسدت الديارات لافساد
المجتمع الاسلامي .

أما التفزل بالغلمان فلعل الشاعر العربي قد تأثر بالأدب اليوناني في
ذلك . فانا نعلم ان حركة ترجمة الكتب اليونانية الى اللغة العربية كانت قوية
في أوائل العصر العباسي حتى عصر المأمون .

يقول الدكتور نخري في ص ١٣٥ - ١٣٦ من كتابه الضعف التناسلي:
(ان اللواط كانت ظاهرة في (ميتولوجيا) اليونان ثم انحدرت من
الميتولوجيا الى تاريخ الشعب وتسربت الى أعمق أركان حياته السياسية أو
الادبية أو الفنية ، فن أبداع تاريخ اللواط في الميتولوجيا هو تعشق
« زيوس » لابن الملك الذي كان يسمى « جاني ميدس » وقصة هذا العشق
تجسمت في كثير من أديبات وفن اليونان الاقدمين . وتطورت فكرة
اللواط عندهم فصاروا يتمشقونها تحت ضوء أشعة الحب النقي وأشعة

(١) يقول الدكتور نخري في ص ١٤٠ من كتابه (الضعف التناسلي) : خف
انتشار اللواط في أوروبا — بتأثير المسيحية . الخ

الدين^(١)، فكان العاشق يرى في الصبي المعشوق مخلوقاً يسليه - وخلاصة القول تمتزج روحها قبل أن يمتزج جسدها في اللذة التناسلية البهيمية - مع ضرورة الحصول على هذه اللذة طبعاً - والسر في ذلك هو ان اليونانيين كانوا ينظرون للمرأة كشخص أقل روحانية وأحط نفساً من الذكور ، وكانوا لذلك يمتقدون أن جمال الذكور أبدع وأدق تركيباً وأبدع نفسياً من جمال الاناث ، فللمعاشرة وجدوا الذكور أفضل من الاناث ، وللمغازلة والمجالسة والمحادثة وجدوا الذكور أفضل من الاناث، ولبت مكتومات الصدور - وهو الشيء الذي يحتاج اليه الانسان دائماً وفي كل المصور - وجدوا الذكور أفضل من الاناث وأخيراً للتمتع (الجنسي) وجدوا الجمال في الذكور أعظم منه في الاناث ، فانتشرت اللوطة بينهم ، ثم تجسست في أغانيهم وفي شعرهم وفي سياستهم وفي قوانينهم . الخ

كان كل هذا يترجم ويقدم للخلفاء والوزراء والأمراء في مقابل هبات جزيلة . وكان القوم يكبرون اليونانيين ويبدجلون علومهم . وكان من الطبيعي أن يتأثروا بهم فيرغب الأمير في هذه المتعة ، ويحاول الاديب أن يترسم خطاهم في نثره ونظمه ، فكما ان العقائد المتضاربة قد انتشرت بين المسلمين حينذاك على اثر انتشار الكتب الأجنبية فانقسم المسلمون الى اشاعرة ومعتزلة ومرجئة وقدرية ، الخ وحاول كل فريق أن يوفق بين القرآن والسنة وما يتبعه من رأي ، ونتج من ذلك تبلبل الافكار وانتشار الزندقة وكثير المسامون بعضهم بعضاً . كذلك أجوز أن يكون انتشار الانحراف الجنسي بين الطبقة الحاكمة من أمراء ووزراء وكتاب وأدباء

(١) ولعل هذا هو مصدر شطحات بعض الصوفية والعرفاء في تغزلهم بالغلمان .

وندمائهم نتيجة لانتشار تلك الكتب بينهم ، وهذا رأي أرتأيه وعلي تبعته وحدي .

وكذلك شأنا اليوم مع الثقافة الأوربية فنما جاءتنا الآراء المتضاربة من ديموقراطية ونازية وشيوعية ، ومن أوربا جاءتنا المسارح والمراقص والتعري والتبرج ، وأخيراً التفسخ الخلقي بأنواعه . واخذ دعاة المدنية الغربية ومروجو آرائها يحاولون أن يوفقوا بينها والقرآن والسنة فلم يفلحوا ولم ينجحوا .

وان المسلمين لم يكونوا ليجتاجوا الى النظم الاجتماعية والآداب الاجنبية في أي يوم كان ويكفيهم النظام الاسلامي ويكفل سعادتهم ويكمل سعادة البشر عامة .

وانما المسلمون يحتاجون الى الاستفادة من اختراعات الغرب - وغير الغرب - من اختراعات وصنائع وعلوم وكل شيء يحسن وسائل العيش ما عدا النظام الاجتماعي .

يقول المؤلف : (ان القدماء كانوا يتصورون بأن الانسان حر عاقل مختار . فهو في رأيهم يسير في الطريق الذي يختاره في ضوء المنطق والتفكير المجرد . ولهذا اكثرنا من الوعظ اعتقاداً منهم بأنهم يستطيعون بذلك على تغيير سلوك الانسان - لقد جرى مفكروننا اليوم على اسلوب أسلافهم القدماء ، لا فرق في ذلك بين من تثقف منهم ثقافة حديثة أو قديمة كلهم تقريباً يحاولون أن يغيروا بالكلام طبيعة الانسان) (١) . وقال في ص ٣٩ من خوارق الاشعور : (وكذلك يعاقبون الجريمة

(١) وعاظ السلاطين ص ٦ - ٧ .

بالعقاب الشديد على أساس أن الإنسان يرتدع عن الجريمة حين يرى العقوبة عليها شديدة - ناسين أن الإنسان عندما يقترب الجريمة كثيراً ما يكون مسوقاً بعوامل غير واعية لاصالة لها براهين الفكر والمنطق .

أن هذا الرأي نظير رأي الجبريين من ~~الذين~~ الذي كان يتلخص في أن الإنسان غير مختار في كل ما يفعل . والفرق بين الجبري ~~والجبري~~ والجبري العصري ، أن الأول كان يقول : (أن الله تعالى هو الذي يدفع الإنسان إلى مصائر ليست من ذات يده . وأما الأخير فيرى أن الغرائز البشرية هي التي تدفع الإنسان إلى الاجرام .

ونحن لا نتذكر أن الإنسان عندما يقوم على عمل لا بد وأن تكون له دوافع من الشهوة أو الحسد أو الخوف أو غيرها . ولكننا نقول هل يستطيع الإنسان أن يخالف هذه الدوافع برادع من (العقل) اجتناباً للعقاب ، أو بدافع (الغيرية) تقديماً لمصلحة الغير ، أو ماشئت فسمه فيترك العمل ، أم لا ؟ !

يقول الحكيم الرومي في كتابه المشنوي في جواب هذه الشبهة ما ترجمته : (شبهة الجبري أشد فضيحة من شبهة القدري ، لأن الجبري ينكر احساسه . إن قولك افعل هذا أو افعل ذاك ، هو دليل الاختيار يا صنم . ويروي لمؤمن الطاق ^(١) — والعهد على الراوي — جواباً عملياً لهذه الشبهة .

(١) مؤمن الطاق اسمه محمد بن علي بن النعمان الكوفي الصيرفي ، روى عن علي بن الحسين وابنه الباقر وجعفر الصادق « ع » وأقصد لقبه مخالفوه شيطان الطاق راجع الكنى والألقاب للقمي (٢ : ٣٩٨) وتكملة فهرست لابن النديم ص ٨ .

يحكى عنه انه سمع يوماً أحداً مخالفه في الرأي من الاساتذة يحاضر تلامذته ويقول :

إني أعجب أشد العجب ممن يزعم أن الانسان مختار في أفعاله مع ان الله تعالى هو الخالق لكل شيء ، وفاعل كل فعل . فلم يتالك مؤمن الطاق نفسه ، فرفع حجراً من الارض وصك به جبين المحاضر . وعندما سأله القاضي ساعة المرافعة عن سبب فعله أجاب مؤمن الطاق :

لست أنا الضارب .

القاضي : فمن الذي شج جبين الاستاذ وأدماه ؟
مؤمن الطاق : ان الله هو الذي قد أدماه ، لان كل فعل منه وأما أنا فلم أكن مختاراً في فعلي كما يزعم !

نعود الآن الى ميزة العقل في الانسان ونذكر على سبيل التمثيل من قصة حواء : تقربها الى الشجرة المنوعة :

في قصة حواء انها لما تقدمت الى الشجرة المنوعة عنها رجعت للملائكة الموكله بحراسة الشجرة الى ربها تسأله هل تمنع هذا المخلوق من التقرب الى الشجرة كما تمنع سائر الحيوانات ؟ أم تتركه وشأنه ؟ فأجابها الله : ان لهذا المخلوق عقلاً يرشده فلا حاجة الى استعمال القوة لمنعه .

إنما أوردت هذه القصة مثلاً يبين الفرق بين الانسان والحيوان فالانسان والحيوان ، يشتركان في جميع الخصائص والفرائض ويفترقان في هذه الخصلة بصورة محسوسة ، فالانسان يشتهي الاكل والنسكاح والنوم والحيوان يشتهيها ، وفي الانسان غريزة الغضب وما ينتج عنها من كره وحقد وشراسة ، وفيه غريزة حب النفس وما ينتج عنها من عدم ادراك مصلحة الغير والخوف ، وفي الحيوان جميع تلك الفرائض . انهما يشتركان

في كل ذلك ، ويمتاز الانسان عن فصيلة الحيوانات بالعقل والتفكير فان اتسع عقله اصاب رشده ، وإلا كان هو والحيوان سواء .

ولقد اتخذت الفلاسفة والحكام — في توجيه البشر — من العقل سلماً لاصلاح الفرد الانساني ومجتمعه فأشادوا بالعقل ودرّبوا البشر على التأمل والتفكير الصائب وعدم الانسياق وراء الهوى والعاطفة .

أما الأنبياء ونحس بالذكر نبينا محمد (ص) فانهم قد خاطبوا البشر بلغة العقل والعاطفة معاً ، وبذلك وجهوا الناس الى التفكير الصحيح كما نبهوا فيه الاريجية والغيرية ودفعوه الى نكران الذات في سبيل المصالح الاجتماعية .

وأما القوانين الوضعية فقد اعتمدت على الزجر والعقاب في ردع المجرم اكثر من أي شيء آخر ، ولم يخل مجتمع بشري من واحدة من هذه الطرق الثلاثة ، فما هو الطريق الجديد الذي جاء به استاذ علم الاجتماع حيث أخذ يندد بكل هؤلاء : القدماء منهم والمتأخرين !!؟

وهل الجديد الذي جاء به هو رأيه بأن في الانسان غرائز طبيعية يجب الاعتراف بها واعطاؤها حقها في الحياة ، فهذا ما لم ينكره أحد ، ولكن الكلام في انه هل يجب ان — يوضع حد للبشر في سلوكهم ؟ أم لا ؟ بل يتركون فوضى لا نظام لهم !! واذا كان من الواجب وضع حد لهم في الاستفادة من غرائزهم . فهل يستطيعون من الوقوف عند حدهم؟! أم لا يستطيعون ذلك ؟ واذا كان الانسان قادراً على الوقوف عند حده ، فلماذا تجاوز ذلك الحد هل يسأل عن تجاوزه ؟ أم لا يسأل عنه ؟

أما نحن فقد ذكرنا ان في الانسان قوتين متقابلتين : الانانية والغيرية ، وان للانسان قوة خارقة لتكييف نفسه .

بتغليب بعض صفاته على البعض الآخر . وله عقل يعز به النافع من
 الضار ، فإن لم يكن الانسان كذلك ، بل كان مجبوراً على افعاله . غير عاقل
 ولا مختار ولا يردعه الجزاء عن اتيان المنكر — كما يفهم ذلك من أقوال
 المؤلف — فلم قامت المذاهب والاديان ؟ ولماذا ظهرت النظم الاجتماعية
 والقوانين المدنية ؟ فليترك الناس فوضى لا نظام لهم كالحوانات — وان
 كان لبعض الحيوانات أيضاً نظام متبع — واذا كان الناس لابد لهم من
 دين سماوي أو قانون مدني ينظم حياتهم ، ويضع حداً للجوح غرائزهم
 فكيف يتم توجيههم الى الاخذ به أيمكن ذلك عن غير سبيل الدعاوة
 والتبشير له ؟ وباتخاذ كافة الوسائل لتركيز النظام لديهم ، وبذلك يتكون
 عندهم عادات وتقاليد اجتماعية ، وهي ما يسميها المؤلف بـ (العرف
 الاجتماعي) ويهتم له كل الاهتمام .

وقد دأب البشر منذ فجر تاريخهم على بث الدعوة للنظام الاجتماعي
 الذي يدينون به فهل يشكر المؤلف على جميع البشر ذلك ؟¹¹
 وقد يفهم من مجموع كلام المؤلف ان القدماء والمتأخرين لم يعرفوا الانسان
 — كما عرفه هو — ولم يدركوا ان الحسد والشهوة والانانية اصيلة فيه
 ويقول :

(لعلنا لا نخطيء إذا قلنا بأن الحسد والشهوة والانانية وما اشبه هي
 صفات اصيلة في الانسان لا مفر منها) .

(فإذا قلنا للناس انبذوا الحسد والانانية ، فعنى ذلك اننا نقول لهم :
 اتركوا طبيعتكم البشرية) .

فما هي هذه الصفات الاصيلية في الانسان وما درجة
 تأثيرها فيه ؟

فالحسد رغبة الحسود بأن يتنعم بنعمة المحسود أو إزالة تلك
النعمة عنه .

والانانية رغبة الانسان في تقديم مصلحته على مصلحة غيره لانه يحب
نفسه اكثر من حبه الغير .

والشهوة الرغبة الى الأكل والشرب ، أو النوم ، أو اشباع الغريزة
الجنسية ، أو الجاه ، أو جمع المال لتحقيق رغائبه .

أجل ان هذه الصفات أصيلة في الانسان كما يرى المؤلف ، وتقابلها
الصفات الغيرية الأصيلة فيه أيضاً . ولا يلام الانسان على وجود هذه
الرغبات فيه ، وإنما قد يلام على كيفية تحقيق هذه
الرغبات ، ومن هنا تنشأ المغالطة ، فيقول الدكتور : ان هذه الرغبات
لا بد أنها تدفع الانسان الى العمل لتحقيقها وذلك أمر قهري لا اختيار
للانسان فيه ، والبشر في ذلك متساوون كأَسنان المشط — غير ان الوعاظ
لا يلومون الغني المترف على تحقيق رغائبه . وها هنا يجحد الرئاء للفقير .

سيدي الواعظ العصري ان كان الوعاظ السالفون يموهون على المترفين ويشجعونهم
على التماذي في غيهم كما تزعمون ، وكانوا يمدحونهم ليكسبوا بذلك ودهم ،
فيحصلوا على الجاه والمال ، فانكم قد ورثتم عنهم تلك النزعة حذوا النعل
بالنعل ، فانهم ان كانوا يستشهدون بأحاديث حفظوها ولم يعوها ليكسبوا
الجاه والمال من أهليه كما تزعمون ، فما انكم تستشهدون بكلمات الغريبيين
(أو الشرقيين) تطلبون بوعظكم ود الاكثرية من الشعب التي هي مصدر
السلطات في هذا اليوم ، ونيل الجاه والمال متوقف على كسب رضاهم ، ومن
بعد ذينك المال ، ونحن لا نريد أن نلوم أحداً على حب الجاه والمال وانما
نلومكم على سلوك الطريق .

ولنعد الآن الى الفرائض الطبيعية للانسان فنلقي نظرة عابرة عليها .

فالحسد لا يكون غالباً بين الغنى والفقر منى يزول اذا ساويتا بينهما .
فقد يكون منشأ الحسد وجود موهبة في المحسود قد حرم منها المحسود .
وكم يصادف لأخوين أو لتلميذين رزق أحدهما موهبة التصوير ، بينما حرم الآخر منها . فهل يمكننا عند ذاك أن نأخذ نصفاً من موهبة المصور أو الفن ونعطيها للمحروم لنزيل حسده ؟ وفي مثل هذه الحال اذا اقتصر الامر في الحسد على الرغبة ببيل الموهبة التي حرم منها ، فان تلك الحالة تسمى لدى علماء الأخلاق بالغبطة ، وهي ليست بمذمومة ، وخاصة إذا أدت الغبطة الى التنافس بينهما ، فللتنافس قيمته العملية في الحياة الاجتماعية فهو الأس السليم للتقدم البشري ، ولولاه لما رأينا مواهب تتفوق وأخرى تنازعها هذا التفوق فيفتحي الى ابداع في الفكر والعمل .

اما اذا أدى الحسد في التلميذ المحروم من الموهبة مثلاً ان يحمل في نفسه كره صاحب الموهبة ، فهذه الحالة مذمومة مرذولة لأنها قد تؤدي الى محاولة القيام بعمل سلبى يقع ضرره على الموهوب له .

وهنا نسأل الدكتور : اذا أتلّف التلميذ المحروم صور الموهوب له أو آذاه بنوع آخر ، هل يعتبره بريئاً لأنه قام باضرار الغير بتأثير غريزته المتأصلة فيه ، ولا حيلة له في رفعها عن نفسه ؟ أم يراه مقصراً لأنه كان باستطاعته أن يردع نفسه من اضرار الغير !!

أما نحن فنقول : ان لكل مجرم ظروفًا اجتماعية وطبيعية تدفعه الى القيام بجريمته غير أنه ليس بمجبر على القيام بعمله بل في استطاعته أن يخالف هوى نفسه متعظاً بالشرائع والانظمة التي حددت من حريته المطلقة ، ولذلك فهو مسئول عن جريمته .

الانانية : هي حب الانسان لنفسه ورغبته في تحقيق أمانيه ^(١) ولا يحاسب الانسان على هذا الحب ان لم يتمدد الى العمل . واما اذا دفعه هذا الحب الى العمل لتحقيق مصالحته الخاصة دون الاضرار بمصالح الآخرين فهي غير مذمومة بل هي ممدوحة ولازمة للحياة ، ولـكـنـنا لا نسميها بالانانية ، وإنما هي النشاط المنتج . بل الانانية ان يستهين الفرد بمصالح الآخرين في سبيل تحقيق مصالحته .

وأندكر في هذا السبيل قصة طريفة وقعت لي في طريقى الى بغداد في يوم قامي البرد شديده ، وكنت آنذاك مصابا ببرد وزكام ، وكان بحالسي في العربة بدوي قوي البنية سليم المزاج اتخذ المقعد المواجه لي متسكاً له وكنا نشارك في النافذة المطلة على البر فاذا فتحت النافذة أصابني تيار قوي مشبع بالرطوبة ، - وكان النيار يمر عنه ولا يصيبه - ولما لم يقتنع بوجاهة طلبي بغلق النافذة لانه كان يعتقد انه يتصرف بحقه وإن سبب لي الأذى ! ولم يكن لي مجال الانتقال في القطار المزدهم بالركاب من النساء والاطفال ، تحملت ذلك ودافعت التيار بعباتي حتى اذا وصلت مقصدي أصبت برمد شديد الزمني الفراش لعدة أيام .

فهذا يا سيدي الدكتور ولا شك من الانانية المذمومة . وأراني لو قدر لي أن أترافع مع البدوي اليك لحكمت له باسم الغرائز البشرية ، وبديل ان حياة البداوة قد عودته على استنشاق الهواء الطلق ، ولا تشرب عليه في تنفيذه لرغبته المنبعثة عن ظروفه الخاصة . ولكنني سأقول لك : ان

(١) من الخطأ أن نعتبر الانانية خصلة مقابلة للشهوة والحسد وانما هي اعم منهما ومن غيرها وهي أم الرذائل الخافية . راجع قبله ص ١٩

البدوي اندفع الى إيذائي مخيراً ولم يكن مجبراً ، ومستهيئاً بمصلحتي في
سبيل اشباع رغبته بدافع الانانية المحضة ، وإذا كان دافع الشهوة والرغبة
والانانية عذراً مشروعاً للمجرم ، إذن فلتغلق المحاكم أبوابها !!!

أما الشهوة : فهي بذويع الحياة ، ومن لم يشته فهو مريض غير سليم ،
والانسان الحي السليم يشتهي الاكل والشرب ، ويشتهي النوم والعمل
الجنسي ، وفيه غيرها من الشهوات . ولكن في مقدوره أن يضبط نفسه
ويغالب شهوته فإن لم يفعل واسترسل وراء شهواته أهلك نفسه وأضر
بالآخرين .

والاسلام بعد ان عين القدر اللازم لاشباع الفرائض الانسانية منع من
الاسترسال وراء الشهوات كي لا يهلك الانسان نفسه ويضر الآخرين ، وقد
تسكون الحكمة في وضع حد للانسان وادابته بالجريمة فيما اذا تجاوز
ذلك الحد دون الحيوان بعد وجود العقل الفارق بينهما ، ان الحيوان
لا يستطيع ان يجتهد لتحقيق رغائبه ما عدا قواه الخاصة به فهو يستفيد
من برائته وانيابه وقفزه وانقضاضه للحصول على فريسته فيكون اضراره
للغير محدوداً ، وانه ليس له طريق آخر للبقاء غير ما يقوم به ، وأما الانسان
فانه يستطيع أن يجتهد أشعة الشمس وضياء القمر وتيار الهواء وجريان
الماء وجميع ما يرى لتحقيق شهواته ورغباته - دون أن يضر بمصلحة
الآخرين - فإذا لم تهذب رغبات هذا البشر فانه سيجند ما في هذا العالم
لتدميره فلذلك كان واجب الانبياء والمصلحين تهذيب طباعه وتوجيهه الى
ترك الاضرار بالغير في كل ما يعمل . ومن هنا ينشأ الخلاف بيننا والدكتور
فانه يأخذ برأي السوفسطائيين ويقول : (ان الحقيقة نسبية غير مطلقة
وان مقياس الحقيقة هو الانسان بمصالحه ورغباته وشهواته) .

ومحصل هذا الرأي ان الحق مع كل انسان في كل ما يعمل بدافع شهواته ورغباته ومصالحه ، وعلى هذا فليس لنا أن نطالب انساناً بأن يترك ما يرغب فيه لان الحق معه فيما يعمل وان أضمر بغيره ، والمؤلف يدافع عن هذا الرأي فيما يكتب ، ولا ينتهي نقاشنا مع الدكتور فيما يتفرع عن هذه الفلسفة عند حد إن لم تناقشه في أصل هذه الفلسفة وآثارها .

ان هذا المنطق قد يؤدي بنا الى هدم كل ما بنته الانسانية من فضائل أخلاقية حتى اليوم فغزاه ان كل شيء مباح وليس لقانون في العالم ان يدين أي مجرم كان مهما كانت جريمته وكم من أوجه شبه بين هذا الرأي والحكاية الطريفة التي أوردها لك :

يحكى ان ملكاً من ملوك ايران الاكاسرة مر في طريقه الى الصيد على قرية آمنة مطمئنة ، ولما لم يؤد أهلها واجب الخضوع كما ينبغي للملك رمق الملك وزيره وقال : « لنهدم » . فأسرع الوزير الى تنفيذ أمر مولاه ودخل القرية وجمع رجالها البسطاء حوله فخطبهم وقال : يا رجال القرية ان الملك قد اعجب بنشاطكم البارز في تعمير هذه القرية ، ورغب بمكافئة جميعكم على هذا النشاط ففتح جميع رجال القرية لقب (كد خدا) أي (رئيس قرية) . قال هذا وكرّ راجعاً الى موكب الملك ، وعندما مر الملك على نفس القرية في السنة القادمة وجدها خراباً وأطلالا فسأل وزيره عنها - وكان قد نسي أمره - ولما ذكره الوزير بما أمر في حقهم سابقاً راق عليهم الملك ، وأمر بتعميرها ، فذهب الوزير الى القرية ودخلها مرة ثانية فلم يجد من سكانها سوى الشيوخ والمعجزة الذين أقعدتهم الشيخوخة عن الفرار ، فتوجه الى اكثرهم جلدأ وخطبه سائلاً : ماذا دهاكم ؟ وما حل بقريتكم ؟ فأتاه القروي وقال : هذا ما جرّه علينا وزير أبله مر علينا قبل سنة وانعم

على جميع رجال القرية وسام الرئاسة فلم يكذب يخرج من القرية إلا وقد غلب على الجميع حب السيطرة فكل يريد أن ينفذ أوامره لا زال البقية لا يخضعون له ، فسالت الدماء ، وهدمت البيوت وقطعت الاشجار وآل أمر الباقين من سكان القرية الى الفرار .

أبدى الوزير تأسفه من ذلك وأعطاه مالا جزيلا ليصرفه على تعمير القرية ، وقال له : ان الملك قد عينك أميراً على هذه القرية ، ورجع عنه من حيث أتى .

الا ينتهي بنا المصير الى مثل هذه القرية إذا قلنا للبشر جميعهم انكم على حق فيما تقولون وتفعلون !!?

السفسطة وناريخها

لقد وجدنا الدكتور الوردى ينقل تاريخ السفسطة وتاريخ خصومها مشوها ، ويهاجم ارسطو ومنطقه وأستاذه افلاطون ، وينسب اليهم ما هم براء عنه ، وذلك في سبيل الدعوة الى السفسطة .

ويقول في كتابه وعاظ السلاطين ص ١٥ : (اني أكاد اجزم بأن منطق الوعظ الافلاطوني هو منطق المترفين والظلمة) . ويقول في كتابه خوارق اللاشعور ص ٨٩ : (لقد كان فلاسفة الاغريق من أصحاب العبيد فكانوا غير مضطرين على التفكير في معاشهم أو في كيفية الحصول على رزقهم فكان كل فيلسوف منهم يملك عدداً من العبيد يعملون له ويكدحون في سبيل الحصول على ما يحتاج اليه ولعل هذا كان من جملة العوامل التي أدت الى انتشار منطق ارسطو بين فلاسفة الاغريق) .

فلو كان العبيد يملكون من الوقت ما يفكرون به كما يفكر اسيادهم
ربما رأيناهم يبتكرون منطقاً خاصاً بهم مما كسا لمنطق اسيادهم ولنا ان
نقول في هذا الصدد بأن منطق السفسطة كان أقرب الى فهم الحياة الواقعية
من منطق أرسطو ولعله كان منطق العمال والعبيد وربما كان ذلك سبب
اندحاره .

لقد ذكره المفكرون القدماء منطق السفسطة لانه ينزل بهم من ابراجهم
العاجية انهم يريدون ان يصعروا خدودهم للناس ويتباهون بما لديهم من
افكار واصطلاحات لا يفهمها العادي والسوقي ولذا نراهم حاربوا السفسطة
محاربة لا هوادة فيها وقد سار الفلاسفة المسلمون في القرون الوسطى على
نفس الوتيرة . ان هؤلاء الفلاسفة لم يكونوا من أصحاب العبيد كما كان
زملائهم الاغريق ولكنهم أحبوا منطق ارسطو بتأثير من الجو التفكيرى
الذي كانوا يعيشون فيه فهم قد كانوا يكتبون في الغالب للامراء
والسلاطين ويرجون منهم الجوائز فأصبحوا بذلك يفكرون حسب منطق
أصحاب العبيد من حيث لا يشعرون .
ويقول في ص ٨٦ منه :

ومشكلة المشاكل في منطق أرسطو انه لا يمثل واقع الحياة فمن
الممكن ان نسميه بمنطق البرج العاجي ، وقد تتضح هذه التسمية اذا
درسنا تاريخ هذا المنطق والمنا بطروقه الفكرية والاجتماعية التي أحاطت
بنشأته الأولى) ، انتهى ما اردنا نقله .

وبتلخص رأي الدكتور ان منطق ارسطو كان منطق أصحاب العبيد .
وان السفسطة منطق العمال والعبيد ، وبما ان فلاسفة الاغريق كانوا من
أصحاب العبيد حاربوا السفسطة بلا هوادة وان فلاسفة المسلمين لما كانوا

يكتبون للسلطين تابعوا فلاسفة الاغريق في ذلك ، وللتدليل على صحة استنتاجه يذكر تاريخ السفسطة ومنطق ارسطو مبتوراً ثم يبدي اسفه في ص ٨٧ على اندحار السفسطة ، ويقول : (ولعلنا لا نغالي اذا قلنا بأن اتصاف منطق ارسطو واندحار السفسطة كان من سوء حظ البشرية) .

وان مثل الدكتور في مغالطته ونقله تاريخ السفسطة ومنطق ارسطو مبتوراً ومقلوباً كمثّل الدرويش الذي كان يترك الصلاة ويقول : ان الله قد ذم المصلين حين قال : (فويل للمصلين) ، فكان يستشهد بهذه الآية ويترك ذكر البقية التي تنافي غرضه والتي هي (الذين هم عن صلاتهم ساهون والذين هم يراؤون ويمنعون الماعون) .

ولا بد لنا في تمحيص هذا الاستنتاج المغلوط من نقل ملخص السفسطة ونبذة من تراجم من حاربوها من فلاسفة الاغريق لترى هل كان اندحار السفسطة من سوء حظ البشرية أم من حسن حظها ؟!

السفسطة واساترتها وطهرها وتاريخهم

بعد ان دحرت أثينا الفرس وحفظت لليونان استقلالها السياسي والفكري جد اليونانيون في توسيع الحضارة والثقافة فنبغ فيهم العلماء والاطباء وأهل الفن وسائر أصحاب المهن ، وقويت عندهم الديمقراطية وتنامى التنافس بين الافراد وشاع الجدل القضائي والسياسي ، وازداد حاجتهم الى الترافع أمام المحاكم والمجالس الشعبية لازدياد اسباب الخلاف بينهم ، واحتاجوا الى تعلم الخطابة وأساليب المحاجة ، فلاحظ جماعة من المثقفين ان المجال واسع امامهم لاستغلال مواهبهم في الحصول على الربح المادي ، فانقلبوا الى معلمي البيان والجدل . وهؤلاء هم السفسطائيون

الذين ملاؤا النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد .

تخرج السوفسطائيون من مختلف المدارس الفلسفية ، وبذلوا كل الجهد لتعلم المغالطة والجدل وأما سائر العلوم ، فكانوا يأخذون منها على قدر ما يساعدهم على استنباط الحسب والمغالطات ، وعلى التظاهر بالعلم ، وأخذوا يتاجرون بتعليم الناس الجدل والمغالطة ويفاضلون بتأييد القول الواحد ونقيضه على السواء !!

وتطرق عبثهم الى المبادئ الخلقية والاجتماعية ، فبرزوا من العقل وارشاده ، وجادلوا في الحق والباطل ، والخير والشر ، والعدل والظلم ، وانكروا ان تكون هذه عاماً وذاتياً وانما قالوا : ان الحق مع كل واحد في كل ما يشتهي وكل ما يدعي وان الحق يتغير بتغير الاوقات للشخص الواحد فيمتنع الخطأ لاي انسان في أي وقت كان — فاذا قال انسان اليوم شيئاً وانكره بعد غد فهو صادق ومصيب في كلا اليومين وكلتا الحالتين وقد اذاعوا التشكك في الدين وسخروا من شعائره ومجددوا القوة والغلبة وذهبوا الى ان كل ما في الكون وهم أو خيال ، فقد قال غورغياس (١) لا يوجد شيء في العالم ، واذا كان في العالم شيء . فالانسان قاصر عن فهمه (٢) واذا فرضنا ان انساناً قد فهم شيئاً وادركه فلن يستطيع ان يفهم غيره واحتج ببعض الأدلة الجدلية برهاناً على صحة قوله .

(١) كان غورغياس من كبار السوفسطائيين ولد سنة ٤٨٠ ق . م ، وعمره اكثر من مائة ومات سنة ٣٧٥ ق . م بعد أن عظم صيته وضخمت ثروته على حساب الانحجار بتعليم الجدل .

(٢) ينسب الوردى الى هيجل في ص ١٠٠ من خوارقه شيه هذا الرأي .

طهر ب السوفسطائيين ودر و سوم

كان السوفسطائيون يتنقلون بين المدن في طلب الشباب الثري الذي يتقاضون منه الاجور الوفيرة ويعلمونه الجدل والمغالطة ، وكان الشباب الثري يهرع اليهم ليتقوى بالعلم فوق ما توفر له من أسباب الغلبة — من الجاه والمال والعصية^(١) .

محاورة بين سوفسطائي وتلميذه

يقال ان استاذاً سوفسطائياً اتفق مع تلميذه الشاب الثري على ان يعلمه من الجدل في البيان ما يمكنه من ان يجعل الحق باطلا والباطل حقاً فيعطيه التلميذ على تعلمه ما لا جزيلاً ، ولما أتم الاستاذ السوفسطائي تعليمه وطالب بحقه من الاجرة ، قال له التلميذ :

أحق ما تطالبه ؟

الاستاذ السوفسطائي : نعم انه يحق لي الاجر لاني قد علمتك ما اتفقنا عليه ! .

التلميذ : لقد اتفقنا على الاجر على ان تبغني من القدرة على الجدل درجة استطيع معها أن أجعل الحق باطلا والباطل حقاً ، والآن فان كان حقاً ما تطالبه ولم استطع من ابطال هذا الحق بالجدل فلا تستحق شيئاً وإن لم ابلغ تلك الدرجة فاذا تطالبني ؟

الاستاذ : انك قد استطعت الآن أن تجعل الحق باطلا ولذلك فأنا

استحق الاجر !

(١) مصدر هذا البحث (الى هنا كتاب تاريخ الفلسفة ليوست كرم ص ٤٥ الى ٤٧ ومحاورة تيتياتوس لافلاطون .

كان السوفسطائيون يبحثون عن أثرياء الشباب ويعلمونهم الجدل والمغالطة
أزاه أجور كانوا يتقاضونها منهم واليك نموذجاً من محاضرات السوفسطائيين
على تلاميذهم من الشبان :

ان الطبيعة الانسانية شهوة وهوى ، وقد وضع المشرعون القوانين
لقهر الطبيعة ، وان القوانين متغيرة بتغير العرف ^(١) والظروف ، فهي
نسبية غير واجبة الاحترام لذاتها ، ومن حق الرجل القوي بالعصبية أو
بالمال أو بالبأس أو بالدهاء أو بالجدل أن يستخف بها أو ينسخها ، ويجري
مع هوى الطبيعة كما ان القانون الخلقى الذى تهابه الناس وتخشاه ليس من
وضع الطبيعة بل الناس قد وضعته ^(٢) ، وانما الطبيعة تعارضه وتأباه ،
فبحسب الطبيعة الامر الاخسر هو الاقبح والمتحمل للظلم هو الاخسر
وبحسب القانون الخلقى الذى وضعته الناس ان ارتكاب الظلم هو الاقبح ،
ومنشأ هذا الاختلاف بين الواقع والقانون — ان القانون قد وضعه
الضعفاء نظراً الى مصلحتهم الخاصة ، وهم يقصدون بذلك تخويف الاقوياء
وصدهم عن التفوق عليهم ، وان الضعفاء يرون ان الظلم ينشأ من ارادة
القوي التسامى على الآخرين ، ولكن الطبيعة تقدم الدليل على أن العدالة
الصحيحة بأن يتفوق الاقدر ، وترينا ان هذا هو الواقع في الانسان
والحيوان وفي كل مكان ، وترينا ان علامة السعادة سيادة القوي على
الضعيف واذعان الضعيف لهذه السيادة ^(٣) هذا من ناحية ومن أخرى ان

(١ و ٢) لعل الدكتور الوردي يغرف من هذا البحر في كتابيه خوارق
اللاشعور ووعاظ السلاطين حين يتكلم عن (الاطار الفكرى) و (العرف
الاجتماعى وقيمته .

(٣) هذا المنطق منطق الحيوان في الغالب .

الكل يطلب السعادة فكيف يستطيع أن يعيش سعيداً من يخضع لشيء؟
 أيما مكان إنساناً كان أو قانوناً . ألا وإن العدالة والفضيلة والسعادة بحسب
 الطبيعة أن يتعهد الإنسان في نفسه أقوى الشهوات ثم يستخدم ذكاه
 وشجاعته لإرضائها مهما تبلغ من قوة ، مع تظاهره بالصالح لاسكات
 العامة والانتفاع بحسن الصيت ، ولا يتسنى هذا لغير الرجل القوي ، لذا
 ترى أن العامة تعنف الذين تعجز عن مجاراتهم لتخفي بهذا التعنيف ضعفها
 وخجلها من هذا الضعف وتعلن أن الاسراف عيب ، وهي تحاول أن تقيد
 بذلك من ميزته الطبيعية من الرجال وتستعبده ، وتشيد الضعفاء بالعفة
 لقصورها عن إرضاء شهواتها الإرضاء التام ، وتمجد العدالة لجبنها وقعودها
 عن عظام الأمور ، ولو صح ما تقوله العامة من أن أبناء الفقراء من أن
 السعادة في الخلو من الحاجات والرغائب لوجب أن ندعو الاحجار والاموات
 سعداء .

هذه دعاوي السوفسطائيين ^(١) ، وهذا هو منطقهم فانظر الى الوردى
 كيف يقبل الحقائق حين يصف هذا المنطق (بمنطق العمال والعميد) ويقول
 عنه : « ربما كان ذلك سبب اندحاره » ^(٢) .

ولست أدري هل كان الدكتور يعرف السفسطة وكتب ذلك مغالطاً
 ليخدع الاكثرية — الفقراء والعمال — ويجابههم اليه أم كان لا يعلم !!
 فان كنت لا تدري فتلك مصيبة وان كنت تدري فالمصيبة أعظم . ولا
 أدري أى قوله أصح ؟ أهذا القول ؟ أم قوله من بعده ؟ « لقد كره

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية ليوسف كرم من ص ٤٥ الى ٩٤ .

(٢) خوارق اللاشعور ص ٩٠

المفكرون القدماء منطق السفسطة لأنه ينزل بهم من ابراجهم العاجية انهم يريدون ان يصعروا خدم للناس ويتباهون بما لديهم من أفكار واصطلاحات لا يفهمها العامي والسوقي ، ولذا نراهم حاربوا السفسطة محاربة لا هوادة فيها .

فن هم الذين حاربوا السفسطة محاربة لا هوادة فيها ؟ انه سقراط وتلاميذه ومريدوه .

سقراط شهير الفكر والحق والعدل

انتشرت السفسطة في بلاد اليونان وأفسدت أخلاق الشباب المترفعهض من بين الطبقة العاملة سقراط الحكيم الذي كان عاملاً نحاتاً كأيديه آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب فبذل جهده في مكافحة السوفسطائيين في آرائهم وأعمالهم فبينما هم يعلمون أبناء الاثرياء بأجور وفيرة ، أخذ هذا يتجول في كل مكان ويبذل الحكمة بلائمن ، يوجه السؤال الى الشعراء والسوفسطائيين ومن يدعى العلم في الازقة والحوانيت ويجعلهم سخريه لابناء الشعب ، ويسحر الجميع بأسلوبه البسيط البليغ ، ويؤثر محادثة الشباب في محاوراته ليرشد هم الى الحق والعدل والخير ، ويهيئ للبلاد مستقبلاً طيباً معتقداً بأن الله قد اقامه مؤدباً بالمجان للعموم . يرتضي الفقر ويرغب عن متاع الدنيا ، وكان الى ذلك مواطناً صالحاً وجندياً بأسلاً اشترك في حربين وأبلى فيهما بلاء حسناً ، وأصابته القرعة فدخل مجلس الشيوخ وعرف هناك بالنزاهة . ولقد كان لسقراط مواقف مشهورة جهر فيها بالحق والعدل مستهدفاً للخطر صامداً للهياج ، ولما ضاق صدر خصومه من جرأته اتهموه بانكاره لآلهة المدينة وافساده الشباب ، فقابل الحكام بجرأة لم يرتضوها

منه ولم يطلب منهم الرأفة والرحمة فأدين وحكم عليه بالاعدام ، ولما كان العرف يعذر الفار في تلك الحال هياً له مريدوه وسائل الفرار فأبى أن يهرب ويخرج على القوانين التي هي سياج الدولة في ظلها يحيا الفرد ويعيش فان كان الاثميون قد ظلموه فبأي حق يستهين هو بالقوانين ويظلمها وانه لن يفعل ذلك بل يوافق على تنفيذ الحكم عليه مهما كان قاسياً ، فهياً له السجن كاس السم وتناولها سقراط بيديه وشربها حتى اثمالة ولفظ انفاسه هادئاً مرتاح الضمير .

ذلك هو خصم السوفسطائيين الألد ، فهل كان هذا (يصغر خده للناس ويتباهى بما لديه من أفكار واصطلاحات لا يفهمها العامي والسوقي ، ولذلك حارب السفسطة محاربة لا هوادة فيها) كما زعم الدكتور ؟ ان المؤلف يناقض نفسه بنفسه في هذا الفصل ، وكذلك شأنه في اغلب ما كتب ! .

تلميذ سقراط : الكليون وافلاطون وأرسطو .

انقسم تلاميذ سقراط من بعده الى شطرين ، قسم أراد أن يترسم خطاه في التمهيد العملي وأولئك هم الكليون الذين حادوا عن القصد فعاثوا الدنيا ولذا نذها ، وقسم اتبعوه في نشر العلم والحكمة ، وزعيم هؤلاء افلاطون وتلميذه ارسطو . اما افلاطون فانه تابر في مكافأة السوفسطائيين لا بين النوادي الشعبية فحسب كما كان يفعل سقراط ، وانما على صفحات الكتب ولسان ابطال محاوراته . وقد سيم الهوان ويسع كالعبيد ولكن ذلك لم يغير منه شيئاً فلم يخضع للسلطان ولم يقبل الجاه مدة حياته .

ومن بعده قام ارسطو فذهب المنطق وشيد بنيانه على ما أسسه
سقراط .

هذه هي السفسطة وتاريخها والدكتور الوردى يروج هذه الفلسفة
حين يقول ما مؤداه وملخصه : (لما كان الحق مع كل انسان فى تحقيقه
لرغبته وشهوته ومصالحته فما يفعله كل انسان حق وعدل وخير بالنسبة الى
ذلك الانسان ، وإن كان شراً وظالماً وباطلاً بالنسبة الى غيره . إذن فالحق
نسبي يتعدد بتعدد الاشخاص . ومن يدعوك الى الحق المطلق والعدل
المطلق انما يحاول ان يفسك ويخدعك (١) !

وعلى ضوء هذا المنطق - منطق السفسطة - يكون الانسان كالحوان . فكما
ان الذئب ليس بظالم والغنم مظلوما ، بل الحق مع الذئب فى افتراسه الغنم ،
والغنم أيضاً محق فى فراره عن الذئب ، لان كلامها يجرى وراء شهوته ومصالحته
كذلك الأمر فى الانسان . وذلك لاختلاف شهوات الناس وتعدد مصالحهم .
فالحق مع كل انسان فى كل ما يفعل . وعلى هذا فالحق مع الدكتور
حين يرى : ان طلب الوعاظ من الناس أن يتركوا الحسد والشهوة
والانانية نفاق (٢) ! .

وأما نحن فنؤمن بوجود حق مطلق وعدل مطلق يقاس عليه جميع أعمال
البشر فما هو ذلك الحق المطلق والخير المحض ؟

ان الدكتور - تبعاً لاساتذته السوفسطائيين - يجمع بين مصلحة الانسان
وشهوته ورغبته فى الذكر ليربك ان الحق مع كل انسان فى تنفيذه

(١) راجع خوارق اللاشعور للدكتور الوردى ص ٥٧ و ٥٨ و ٦٨ و ٧٣ و ٨٦

(٢) راجع وعاظ السلاطين ص ٦ و ٨ .

لرغبته وتحقيق شهوته ومصالحته ، فإن لم تقبل برأيه اتهمك بأنك تزعم
ان ليس للانسان الحق في السعي وراء مصالحته ، ومن هنا ينشأ الخطأ
ويبدأ بالمغالطة ويبني على هذا الاساس جميع احكامه الجائرة .

(الحق ما ينفع الانسان لا ما يشتهي)

ونحن نقول ان الحق مع كل انسان فيما ينفعه ، لا فيما يشتهي ، فكثيراً
ما تصطدم مصالح الانسان ومنافعه بشهواته ورغباته ، فقد يشتهي المريض
ما يضره من المأكول والمشروب ولا يشتهي الدواء المر . أمن الحق
عند ذاك أن نعطيه ما يشتهي وان اضره ؟ وأن نترك ما لا يرغب فيه
وان نفعه ؟ لا ، وانما الواقع والحق ان نقدم صلاحه ونفعه على رغبته
وشهوته . ومن هنا نعلم ان ليس من حق الانسان تحقيق شهوته ورغبته دائماً ،
بل من الواقع ان حق الانسان قد يصطدم بشهوته ورغبته احياناً ، وليس
ذلك خاصاً بالمريض بل الامر في الانسان السالم أيضاً كذلك فان الانسان
السالم أيضاً قد يشتهي ما يضره ولا ينفعه فكثيراً ما يشتهي الانسان
السالم أن يأكل حتى يتخم ، وكثير من البشر يشتهون العمل الجنسي
الى حد الافراط المضر والمخالف لنفعهم ومصالحهم ، ولا يظن أحد ان
من الممكن اشباع الانسان في شهواته ورغباته لان الانسان اذا جرى
وراء الشهوات يخرج هذا حتماً عن حد الاعتدال ، ويكون مصيره عند
ذاك مصير المنحدر عن الجبل بسرعة فائقة ظناً منه انه يستطيع الوقوف
في اثناء الانحدار متى ما أراد الوقوف . كلا فان مصيره الهوي الى الحضيض ،
والنحرف وراء شهواته يهوي ويهوي الى ما لا نهاية له حتى يدركه الموت .

وان الاستسلام للشهوة هو بنفسه مرض مهلك للانسان . وإذا لاحظنا
الفريضة الجنسية في الانسان وجدنا الشخص ان لم يقف عند حد النفع
فيها قد لا يكفيه من الجنس الآخر أي عدد ، مهما ارتفع العدد كما كان
الأمر في بعض السلاطين سابقاً وبعض المومسات دائماً ، فإذا ثبت ان
الشهوة والرغبة قد تخالف المنفعة والمصلحة فلنجعل المصلحة أو بتعبير أصح
منفعة الانسان مقياساً للحقيقة ، ونقول ان الحق مع كل انسان في السعي
وراء منافعه .

ما ينفع من الاكل والشرب والنوم واللباس والعمل الجنسي ، وهكذا
له الحق في السعي وراء كل ما ينفعه من الثقافة والعدالة الى غير ذلك ،
واما اذا أراد أن يأخذ أكثر مما ينفعه فهو خلاف الحق لانه حينئذ يضر
نفسه قبل ان يضر غيره ، ولا يزعم أحد ان منفعة انسان ما قد تصطدم مع
منافع الآخرين لقلة مواد الانتاج وموارده عن حد الكفاية أو عن الحد
الذي ينفع البشر كلاً لا يزعم ذلك أحد ، ولنعم ما قاله فيلسوف الانكليز
الساخر برناردشو : العالم كشمع رأسي ولحيثي ، وفرة في الانتاج وسوء
في التوزيع ^(١) . ان السبب فيما نرى من سغب البعض هو بطر الآخرين ،
وان احتكار جماعات من الرأسماليين في العالم لمواد الانتاج أكثر مما
ينفعهم - بدافع الشهوة الرذيلة - أضر الآخرين ، ولولا ذلك لما رأينا
جوعاً ولا فقراً ولا ضراً ولا حرباً ضرراً بين الدول . فان في العالم من مصادر
الانتاج النافعة للانسان والضرورية له ما ان استخراج استخراجا صحيحا

(١) ان شو كان اصلع كك اللحية .

ووزع توزيعاً عادلاً لكفى جميع البشر فيما يشتهون الى الحد الذي ينفعهم
 - وكلما كثر عددهم تضاعف الانتاج وكلما قل قل - وفي ملاحظة حالة اهالي
 بعض البلاد الاسكندنافية والسويس من البلاد التي ليست بمستعمرة
 (بالكسر) ولا بمستعمرة (بالفتح) وما نجد لديهم من أمن ورفاه وسعادة
 اكثر من البلاد المستعمرة والمستعمرة خير دليل على ما نقول ، فليست منفعة
 انسان ما بمزاومة منفعة غيره قطعاً ، وانما التي تتعارض هي الشهوات الضارة
 وحدها لان الشهوات - كما ذكرنا - لا حد لها وان اصررت على القول بأن
 من الممكن أن ينفع انساناً ما يضر غيره ، فنقول ان الضرر ليس بنافع ،
 وذلك لان منافع المجموعة الانسانية كتلة مرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً
 كلياً وثيقاً ، وهي وحدة غير قابلة للتجزئة كارتباط منافع الجسد الواحد
 بعضها مع بعض ووحدها ، وان ما يضر العين لا ينفع اليد . وكذلك
 العكس ، فبما أيها الانسان لا ينفعك ما يضر أخاك الانسان لأن الشقاء والسعادة
 والعلم والجهل والمرض تسري من انسان الى آخر سريان الكهرباء في
 الاسلاك ، فاذا مرض انسان يعديك ، وان جهل يؤذيك . وهكذا . ولن
 تبقى في الكتلة الصلبة من الفلز برودة نصفها تحت الصفر وحرارة النصف
 الآخر فوق المائة . فان لم تدرك العلاقة بين ضررك وضرر الآخرين ولا
 يسعنا المجال هاهنا للبرهنة على هذه العلاقة القوية بينهما والتي هي غير
 قابلة الانفكاك . وأبئت الا أن تجعل منفعتك الخاصة مقياساً للحق فقط .
 فنقول ايضاً : لا ينفعك ما ضر أخاك ، وذلك : أولاً : لان ما تحصله من منافع
 هي ثمرة جهودك واتمالك ، وأنت تبذل جهودك في مكافئة الآخرين فلا تنتفع
 عند ذاك إلا من بعض جهودك فاحص عن طريق آخر لجلب نفعك مما

لا ضرر فيه لغيرك وحتما انت واجده ان انعمت الفحص ، وثانياً : ان الانسان لا يستطيع الحياة الانفرادية في الغاب بل هو محتاج الى الحياة الاجتماعية في المدن ولا يمكن الحياة الاجتماعية في المدن ما لم تترك أنت ما ينفعك لانه يضر غيرك ، ويترك غيرك ما ينفعه لانه يضرك ، وليس هذا من باب ترك النافع على حساب الغير وإنما هو من باب بذل النافع في سبيل تحصيل الانفع ، وهذا هو عمل الانسان في جميع اعماله إن لم يكن مصابا بقصر النظر فالزراع يبذل البذر لتحصيل الزرع الانفع وهكذا .

فما يحصل الانسان في ظل المدنية من منافع انتاج غيره الغزير الوفير من منتجات أهل الحرف وغيرهم مما لا تعد ولا تحصى كيف يحصل عليها الانسان ان لم يترك كل ما يضر غيره وان نفعه ؟! ، وليس الامر هكذا مع الحيوان فانه يستطيع أن يعيش في الغابات والكهوف ويحيا الحياة الانفرادية ولا تفيدته فعاليات غيره من سائر الحيوانات ، فعلى الحيوان يصدق انه (يحمل معه حقيقته الخاصة كما يحمل أحدا حقيقته) ، لا على الانسان كما زعم الدكتور ذلك في ص ٥٧ من خوارقه .

النفع مقياس للفضيلة

وكما ان النفع مقياس للحق كذلك النفع مقياس للفضيلة ، فالناس يتفاضلون على قدر نفعمهم الانسانية فالانفع منهم هو الافضل ولا فضل لمن لا ينفع ولا خير فيما لا ينفع .

وأخط الناس درجة الاناني الذي يجلب النفع لنفسه مع الاضرار بالغير فهو والحيوان سواء .

وفوقه منزلة من لا يهمله الا نفسه يجلب لها النفع على ان لا يضر بغيره

ومن هذه الطبقة يتشكل أكثرية البشر .
 وارتفاع منهم درجة من يهتم بجلب النفع لنفسه ولغيره ، وبآتي الفيري
 الذي ينكر ذاته في أعلى درجات الكمال الانساني وهؤلاء هم المصلحون
 والانبياء الذين يحبون النفع العام كما يحب أحدنا نفعه الخاص .
 وخارج عن تعداد الانسان ما قد يصادفنا من أشخاص يأنسون من
 ابداء الغير فهؤلاء أضمر من الحشرات المؤذية وأكثر شراً ، ويجب اعدامهم
 ان لم يمكن اصلاحهم .

وأخيراً فإن النفع ميزان حق وزن به كافة الاشياء بلا استثناء فإذا
 سألنا : أي كتاب أحسن ؟ وأي نظام أفضل ؟ وأي المتخصصين أحق ؟
 علي (ع) أم معاوية ؟ . يكون الجواب أبداً ودائماً : الانفع هو الأحسن ،
 والانفع هو الأفضل ، والانفع هو الاحق ، (وأما ما ينفع الناس فيمكنه
 في الارض) .

أرسطو ومنطقه

دفعاً لمغالطات السوفسطائيين في الاحتجاج وضع سقراط أساس المنطق
 واتباعه ارسطو ، وقد اكتشفاه من أساليب محاورات الانسان في كل
 مكان وكل زمان كما اكتشف الخليل بن أحمد اوزان الشعر من نظم
 الشعراء ومن بعد ذلك أخذ الادباء يزنون الاشعار بالبحور التي وضعها
 الخليل بن أحمد كلما احتاجوا البرهنة على سلامة نظم أو فسادها فإن صح
 القول بأن الشعراء أخذوا الارزان من الخليل بصح ما قاله الدكتور في
 ص ٨٥ من خوارقه : « وقد تغفل هذا المنطق في اعماق عقولنا بحيث
 أمسينا متأثرين به لا شعورياً . فكثير منا لم يدرس قواعد المنطق في
 حياته ولا كنهه مع ذلك يجري في تفكيره على نفس النمط الذي يقتضيه

منطق أرسطو طالع . وهذا ناتج من تأثير الجو الفكري العام على أذهاننا فنحن منذ طفولتنا نسمع الكبار يتجادلون ويكتبون ويخطبون على وتيرة معينة فتتطبع هذه التوتيرة في عقولنا الباطنة ، ونبقى متأثرين بها طول حياتنا من حيث نشعر ومن حيث لا نشعر . الخ

ونحن نقول : وكثير من الشعراء لم يدرسوا العروض ولكنهم جروا في اشعارهم وفقاً للبحور التي وضعها الخليل غير ان هؤلاء الشعراء فعلوا ذلك من قبل ان يولد الخليل فما رأيك فيهم ؟

ان الاستنتاج الفكري وفق القياس المنطقي فطري عند البشر اينما كانوا ومتى ما أرادوا البرهنة على صحة رأي أو فساد . فإذا فقد صديق لك نقوده وأخذ يفحص عنها وأنت تعلم موضعها فقد تقول له : ألم تضع نقودك في الحافظة ثم وضعت الحافظة في الصندوق ، اذن فان نقودك في الصندوق . وان الانسان خاضع في جميع اعماله لهذا الاستنتاج الفكري بلا انتباه ، فانك عندما تطفى نار السيجارة كما اقتربت من البترول يمر في خاطرك سلسلة من القياسات كالح البصر . مثل : ان هذه النار موقدة ، وكل نار موقدة ملهبة للبترول فهذه ملهبة للبترول ، وان البترول الملهبة محرقة للانسان . وهكذا . وبحكم هذا الاستنتاج المنطقي السريع تطفى نارك ، غير ان الانسان في الاغلب لا يحتاج الى ميزان فيما يفكر لنفسه وانما يحتاج الميزان عند تبادل التفكير مع الغير ، كما انه في الاكثر لا يحتاج الى السكيل في طعام يأخذه لنفسه مما يملك ، وانما يحتاج الى السكيل في تبادل البضائع مع الغير .

وقد غلط الدكتور قراءه في كتابه خوارق اللاشعور ص ٩٤ حيث جاء بما يشابه الاقيسة المنطقية ليدحض بها أرسطو ومنطقه وهي :

(الضحك من غير سبب من قلة الأدب) .

(وفلان قد ضحك من غير سبب)

(ان فلان اذن قليل الادب) .

ثم يذكر :

(قليل الادب مضر بالدين) .

(وكل مضر بالدين يجب محاربته) .

(وفلان اذن يجب محاربته) .

وفي ص ١١٤ منه :

(ان (فلان ^(١)) نجح في هذا المشروع)

ولما كنت أنا أصلح من فلان)

(فاني سوف انجح فيه حتما ^(٢)) .

وهو يقصد من ذكر هذه الجمل عن لسان ابطال روايته ان يفهم القراء ان القياسات المنطقية من هذا القبيل تافهة لا قيمة لها في ارشاد الفكر . ونحن نقول ان هذه الجمل ليست من القياسات المنطقية في شيء ، وان الدكتور في سخريته من أرسطو واستهزائه بمنطقه واستشهاده بهذه الاقيسة الباطلة أمام أغلبية القراء الكرام الذين لم يدرسوا المنطق شيئا من كل الشبه بالدرويش الذي أراد أن يسخر من عالم كبير أمام جمهرة من الريفيين الأميين حين طلب من ذلك العالم الكبير - على سبيل الامتحان - ان يكتب لهم باصبعه : حية على تراب الارض ، فكتب العالم هكذا : حية ، فبرز الدرويش رأسه - علامة للاستنكار - ورسم باصبعه على الارض شكلا

(١) هكذا وردت في ص ١١٤ من خوارق الاشعور .

(٢) وقد ذكر نظير هذا في ص ٨٠ من وعاظ السلاطين ايضاً .

لولياً . ثم وجه خطابه الى الجماهير المتفرجين الريفين وقال : ايها حية
ما كتبه هذا ؟ أم ما كتبتسه أنا ؟ ثم قال : ألا ترون هذا المدعي للعلم
كيف لا يعرف شيئاً حتى كتابة الحية ؟

أهذا من الامانة العالمية التي يجب ان يتصف بها كل عالم ؟!
ان كل انسان سليم الذوق يدرك بفطرته ان في هذه القياسات مغالطة
كما انه يفهم بأن نتائجها باطلة أيضاً ، غير انه لا يستطيع ان يشخص موضع
الخطأ منها إلا فيما إذا درس المنطق ووزن كلا منها بالميزان المنطقي ، كما ان
الانسان يدرك بذوقه السليم الشعر المطبوع الموزون ويميزه عن غيره ،
ولسكنه لا يستطيع ان يصف العلل الموجودة في غير الموزون منه ان لم
يدرس العروض . وكما ان تعلم العروض لا يجعل من المتعلم أديباً منتجاً وإنما
ينشئه أديباً ناقداً ، فكذلك الامر في المتعلم للمنطق . واما عدم خضوع
الخصم للدلة المنطقية أحياناً فليس مرجعه قصور المنطق وقياساته لان
المنطق ليس من شأنه أن يجبر أحداً على قبول الصائب من القول وقد
يكون الخصم ممن (جحدوا بها واستيقنتها انفسهم ^(١)) ، ونحن على
ضوء الميزان المنطقي نشخص خلل اشباه القياسات التي ذكرها المؤلف
ونشير الى ما يناسب ذكرها هاهنا فنقول : يتكون القياس المنطقي من جملتين
ويشترط أولاً : ان تكون الجملتان صادقتين لتصدق النتيجة ، فلو قال
أحد : هذا انسان وكل انسان لا يتنفس في الليل . تكون النتيجة هذا

(١) قد اعترض الوردى في ص ٩٥ و ٩٦ من خوارقه بما ملخصه : ان كثيراً
من المتناظرين يحتجون بالأقيسة المنطقية دوماً تأمير في الطرف الثاني الذي يبقى
مصرأ على رايه .

لا يتنفس في الليل وهو كاذب وخطأ وسبب كذبه ككذب قوله : كل انسان لا يتنفس في الليل .

وثانياً : لا يعتبر بالقضية التي اهمل فيها تعيين كمية الأفراد ، وفي أشباه القياسات التي ذكرها المؤلف نجد الجملة الاولى : (الضحك من غير سبب من قلة الأدب) مهمة إذ لم يعين هل كل ضحك من غير سبب من قلة الأدب ؟ أم بعض الضحك بلا سبب من قلة الأدب . وكذلك الامر في قوله : (قليل الادب يضر بالدين) فإنه لم يعين أكل قليل الادب مضر بالدين ؟ أم بعض قليل الادب . وقد صرح العلماء بأن القضية المهمة كهذه لا اعتبار بها . ثم نلاحظ انه قد يكذب في قوله : (الضحك من غير سبب من قلة الادب) فقد يكون الضحك بلا سبب من أثر المرض كالهستيريا فتكون النتيجة : فلان مريض ، والمريض يجب معالجته لمحاربته . ويكذب ايضاً في قوله : (قليل الادب مضر بالدين) فقد يكون قليل الادب مضرآ بنفسه — ولا تجب محاربة من يضر بنفسه . كما انه يكذب في قوله : (كل مضر بالدين تجب محاربته) فقد يجب ارشاده فتكون النتيجة أن فلاناً يجب إرشاده .

وأهم شرط في القياس المنطقي أن تتكرر كلمة واحدة في الجملتين وتربط احدى الجملتين بالآخرى مثل تكرر كلمة الحافظة في قولنا : (نقودك في الحافظة والحافظة في الصندوق) وتسمى الكلمة المتكررة بالاوسط . وفي قوله : (ان ' فلان ' قد نجح في هذا المشروع) لا إرتباط بينها وبين الجملة الآتية : (ولما كنت أنا أصلح من فلان) لعدم وجود الاوسط — الكلمة المتكررة — بينهما فليست من القياس المنطقي بشيء . على أنه لم يذكر : أن فلاناً لم نجح ؟ هل نجح لصالحه ؟ أو لصالح أبيه أو لصالح زمانه أو مكانه . وقد يكون كاذباً في زعمه بأنه أصلح من فلان ، فتأتي

النتيجة باطلة ، وان وجوه بطلان أشباه قياسات المؤلف ليست منحصرة بما ذكرنا ، وانما اقتصرنا على ما يناسب المقام ولتفاهة رأيه هذا عند العلماء لم يتصد أحد لنقده غير أن الذي لم يدرس المنطق من القراء الكرام قد ينخدع بهذه السفسطة فيلزم والحال هذه التنويه الى مغالطاته كي لا يلتبس الامر على أحد .

ومن هذا القبيل كانت أدلة السوفسطائيين في القرن الخامس قبل الميلاد حتى اذا وضع سقراط أسس المنطق ، وأتم أرسطو بناءه لم تنطل بعد ذلك أضاليلهم على أحد ، وهذا هو الباعث للدكتور على مهاجمة منطق أرسطو فانه قد ذكر في خوارقه ص ٨٧ ما يلي : (كان هذا المنطق الذي صاغه أرسطو ضربة قاضية على الحركة السوفسطائية ونصراً ساحقاً للفلسفة التي تؤمن بالحقيقة المطلقة وبمقدرة العقل البشري على إكتشافها والنظر فيها فلقد انهزم السوفسطائيون أمامه هزيمة منكرة ، وأشتت فلولهم ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة) .

* * *

بهذا ينتهي القسم الاول من نقد آراء المؤلف ، وفي القسم الثاني - إذا شاء الله اصداره - تناقش رأي المؤلف في « المنطق ذات الحدين » و « التناقض » فهو يرى تبعاً لهيجل : بان التناقض أصيل في الـكون ، فكل شيء هو وليس هو في آن واحد ، وكل فكرة تحتوي على تقيضها في صميم تكوينها ، ويجوز أن يكون الشيء حقاً وباطلاً في نفس الوقت (١) .

وعلى ضوء هذه الفلسفة وما يتفرع منها من منطق الديالكتيك لا يرى

(١) راجع (٩٧-١٠٧) من خوارق اللاشعور و ١٠٩-١١٠ من وعاظ السلاطين

منافاة بين كون الاسلام حقاً في عصره الاول وباطلا فيما بعده ! ! (١)
ولنا حديث غير قصير في نقد هيجل أولاً ، وفي المادية الديالكتيكية
ثانياً ، وفي بحث المؤلف عن الدين الاسلامي على ضوء هذه النظرية ثالثاً .
ونبحث عن سرخلود الدين الاسلامي . وانه قد لوحظ في تشريعه الطبيعية
البشرية وانه صالح لعلاج المجتمع البشري مادام الانسان انسانا . اما إذا
استطاع العلماء أن يغيروا طبيعة الانسان بعلمهم وفلسفتهم فالدين الاسلامي
لا يصلح لمجتمعهم عند ذاك .

وأخيراً نصافح المؤلف ونهنيه على توفيقه في أكثر من نقطة واحدة
من بحثه التاريخي ونخالفه في بعض آرائه أيضاً ولعلنا نوفق الى نشر نقدنا
لقسم من الكتب التاريخية القديمة فيعرف بذلك رأينا فيما كتب هو وغيره
عن تاريخ العصور الاسلامية الاول .

ومعذرة الى القارئ الكريم فيما إذا وجدنا - احياناً - نخرج عن
قواعد النقد المنهجي فان المؤلف قد أساء كثيراً في تعبيره عن رجال
خدموا الانسانية في مجال الفكر والعلم والاصلاح ونستغفر الله ونسأله
التوفيق ونحمده على ما وفق .



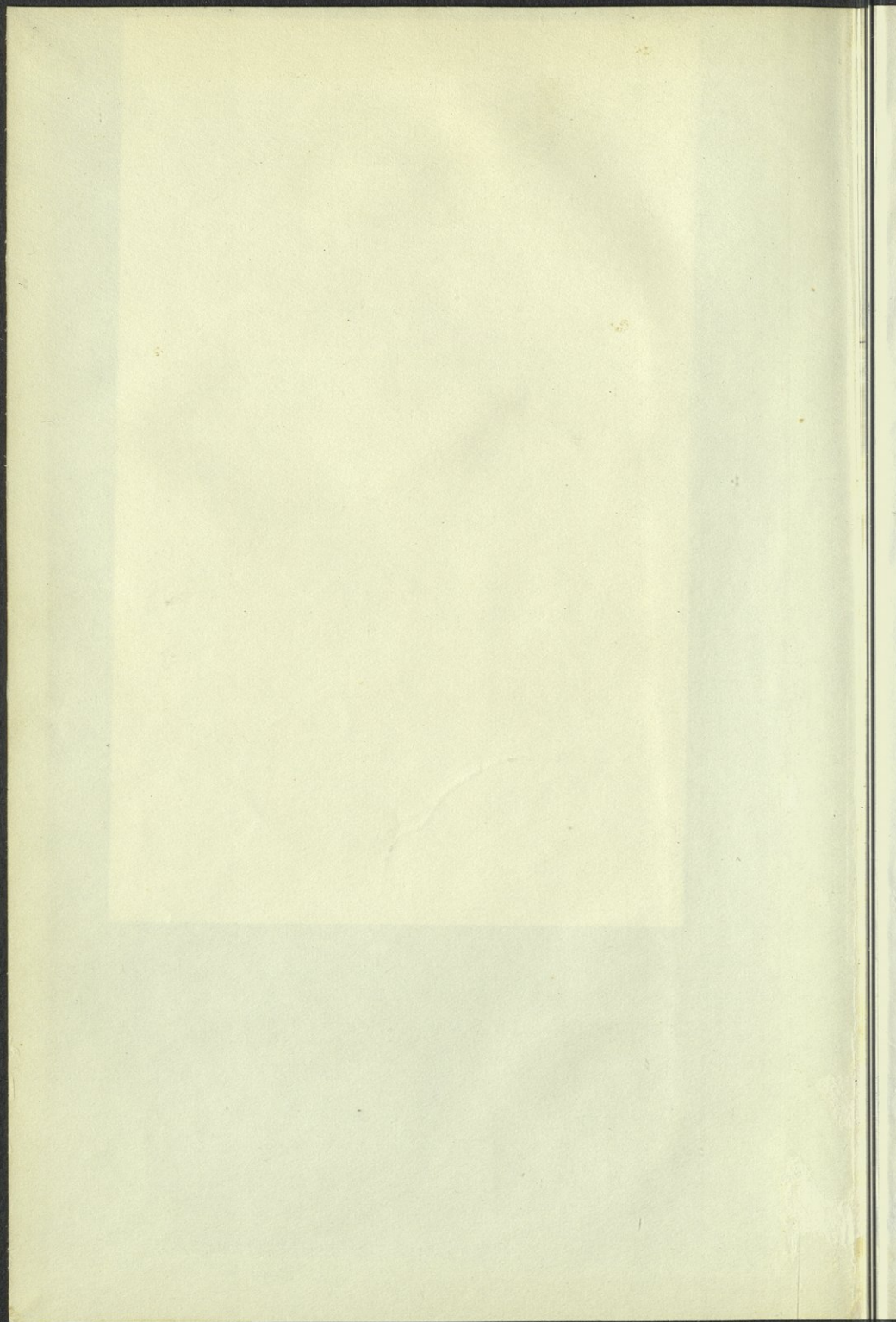
(١) د واط السلاطين (١٠٧) وما بعدها و (١٦٢ - ١٦٤)

أهم مصادر البحث

- ١ - القرآن الكريم
- ٢ - الدر المنثور لجلال الدين السيوطي الشافعي المتوفى سنة ٩١١ طبعة مصر سنة ١٣١٤ هـ .
- ٣ - البحار العمولى محمد باقر المجلسي المولود سنة ١٠٢٧ والمتوفى سنة ١١٩٠ هـ طبعة الكياني
- ٤ - الديارات تأليف ابن الحسن علي بن محمد الشافعي المتوفى سنة ٣٨٨ طبعة بغداد سنة ١٩٥١ م
- ٥ - مروج الذهب لابن الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي الشافعي المتوفى سنة ٣٤٥ هـ
- ٦ - معجم البلدان لابن عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ . طبعة مصر سنة ١٣٢٤ هـ
- ٧ - تاريخ الفلسفة ليوسف كرم مدرس الآداب بجامعة الاسكندرية . طبعة مصر سنة ١٩٥٣ م
- ٨ - الضعف التناسلي عند الذكور والاناث تأليف الدكتور نخري طبيب الجلد والأمراض التناسلية ، طبعة مصر بعد سنة ١٩٣٢ هـ

تصويبات

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٨	١٣	يأمركم	يأمر
١٠	١٦	ولو كان هذا الكتاب من	ولو كان من
١١	١٠	أتاك	آتاك
١٥	١٥	طاعة الله	طاعات الله
٢٢	١٥	لطبيعة	طبيعة
٢٧	١٧	فسألوهن	فسألوهن
٣٠	١٧	لتلك	تلك
٣١	٢	بوعث	بواعث
	١٠	أو خليفة	أول خليفة
٤٢	١٨	(١٢٩) من بغداد	(١٢٩)
٤٨	٣	البدر	البدر
	٤	ومثوا	ومثلي



[illegible]

301:A83mA:v.1:c.1

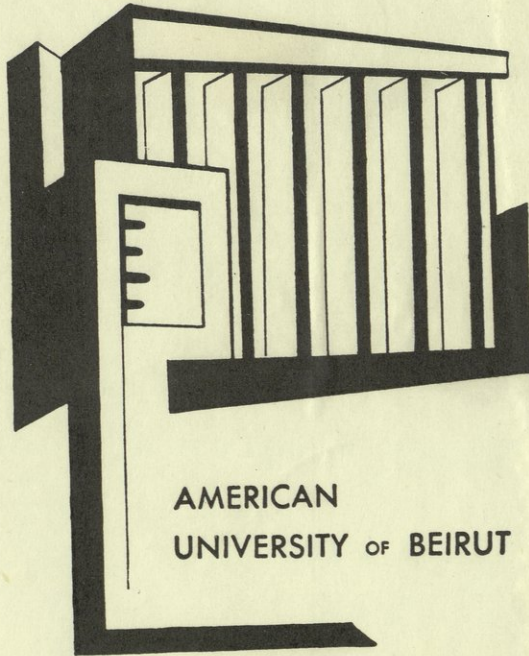
العسكري، مرتضى

مع الدكتور الوردى فى كتابه وعاظ ال

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01010638



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

301
A83mA

v. 1
C. 1